Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 3 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

Mémoire de fille

مذكرات فتاة

Annie Ernaux

Girl's Memories
Annie Ernaux
للكاتبة الفرنسية : اني أرنو
طبعة برشلونة اسبانيا ٢٠٢٣

ترجمة وتحقيق

م.م . عبد الرسول هانو رشم
ABDULRASOOL HANOO RASHAM

مدرس لغة فرنسية
وزارة التربية / مديرية تربية الكرخ الثالثة
The Ministry of Education
General of the Education directorate/Karkh 3rd
saied.rasool@yahoo.com

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص:

رواية مذكرات فتاة للكاتبة الفرنسية اني ارنو.. تقدم فيها مذكراتها عن حادثة حدثت لها في صيف عام ١٩٥٨. ايام مراهقتها ومشاركتها في مخيم صيفي كشفي طلابي قبل أكثر من خمسين عام شمال غرب فرنسا. تتحدث عن فتاة هي نفسها.

هذه الحادثة تعتبر للكاتبة حسب رأيها حدثا مفصليا روحيا وجسديا رافقها طيلة عمرها. كتبت روايتها بوصف جريء للاحاسيس والمشاعر البشرية تغوص ارنو في اعماق ذاكرتها لتسترجع شريط ذكرياتها وعلاقتها الحميمية مع رجل في مخيم الطلاب الصيفي فهي تنظر بعيون الحاضر الى الماضي. يعتبر هذا الكتاب من أعمال السير ذاتية الفريدة وسط اعمال ارنو حيث يتناول تجربة شخصية عاشتها الكاتبة مع صدق عاطفي حيث تسرد اول تجربة جنسية واول علاقة غرامية مع رجل مستكشفة العواطف الانسانية والطبقية الاجتماعية والخلفية الثقافية للحياة الخاصة بجرأة وصدق.

فهي تقول في مقدمة كتابها المكان " اذا كان ثمة تحرر عبر الكتابة فهو ليس من الكتابة ذاتها ، بل في هذه المشاركة مع أناس مجهولين في تجربة مشتركة ، ولمن يعيش ممزقا بين ثقافتين ، ليست وظيفة الكتابة أو إنتاجها طمس جرح أو علاجه ، وانما إعطاء معنى وقيمة وجعلة في النهاية لا ينسى".[١] دونت يومياتها وغاصت في ليالي من ذلك الصيف لترسم لوحة أدبية من خلال ذكريات محفورة في عقلها بأسلوب بسيط غير متكلف. فهذا الكتاب تاريخ شخصي للكاتبة كباقي كتبها السير ذاتية امراة والمكان والسنوات[٢].

الكلمات المفتاحية(مذكرات, المراهقة والكتابة و الحميمية و سيرذاتية)

Résumé

Mémoire de fille est un récit autobiographique publié en 2016, dans lequel Annie Ernaux revient sur l'été 1958, l'année de ses 18 ans.ُ Ernaux replonge dans l'an 1958, elle nous exprime sa première nuit avec un homme. Elle raconte aussi avec sa première expérience sexuelle lors d'un séjour en colonie de S de vacances dans L'Orne, une expérience marquée par la douleur, la honte et l'incompréhension.

Elle decrit une nuit dont l onde de choc s est propagee violemment dans son corps et son ame. À travers ce retour sur elle-même, explore les thèmes de la mémoire, de l'identité, de la sexualité féminine et du regard des autres. En confrontant la jeune fille qu'elle a été à la femme qu'elle est devenue, Ernaux interroge le pouvoir de l'écriture pour comprendre le passé et se libérer des blessures anciennes. C'est un texte intime, lucide et profondément émouvant. Nous essayons de traduire ce texte au lecteur arabe.

Mots clés :(Autobiographie, mémoire, sexualité, Ecriture, retour)

Abstract

Our translation of this novel aims to convey the spirit of the text rather than its literal wording, taking into account the cultural differences between French and Arabic—differences marked by openness and boldness on one side, and by reserve and taboos, especially regarding sexual vocabulary, on the other.

The term autobiography is a well-known literary genre in world literature. In it, the writer presents the life of a character with real people, dates, and places. The author establishes a kind of contract with the reader, aiming to reveal the person's life with honest confession, faithfully conveying personal memories to the reader.

Memoir of a Girl, a novel by French author Annie Ernaux, winner of the Nobel Prize in Literature in 2022, is an autobiographical work published in 2016. It recounts a personal experience the author lived through during the

summer of 1958, in which she narrates her first intimate relationship with a man and its lasting impact on her.

Keywords:(Novel, autobiography, memories, Girl, literature)

مقدمة المترجم

مصطلح السيرة الذاتية جنس أدبي مألوف في الادب العالمي

في هذا النوع الادبي,autobiographie, الكاتبة ,اني ارنو, تتناول الحياة الشخصية بشخوص وتواريخ وأماكن واحداث واقعية وحقيقية . حيث تذكر اسماء رياضيين وموسيقيين ومغنيين وكتاب معروفين عالميا ومدن فرنسية.فالمؤلفة تعمل عقد بينها وبين القارىء لبيان حياة الشخص الذي هي نفسها كانتها وبصدق الاعتراف وبما يحمله الفرد من ذكرياته الخاصة ينقلها بأمانة للقارىء.

رواية مذكرات فتاة للكاتبة الفرنسية اني ارنو الحائزة على جائزة نوبل للأدب عام ٢٠٢٢ هي عمل سيرة ذاتية على شكل ذكريات نشر من قبل دار جاليمار عام ٢٠١٦ ، يتناول تجربة شخصية عاشتها الكاتبة في صيف عام ١٩٥٨ حيث تسرد فيها اول علاقة لها مع رجل وتداعياتها عليها كفتاة ريفية. تعود اني ارنو بالذاكرة إلى صيف ذلك العام ١٩٥٨حيث تروي أول ليلة قضتها مع رجل في مخيم صيفي للطلاب حيث تم تعينيها كمستشارة ومدربة .وهذه المرة الأولى تتحدث عن علاقة تركت أثراً عميقاً في حياتها في ثنايا جسدها وبقايا روحها، بعد رحلة مضيئة وشخصية في أعمال ارنو.

تشير أرنو إلى الرقم ٥٨ وهو العام الذي حدث فيه كل شيء...طرح جرئ تستحضر فيه ببراعة شديدة قسوة العلاقات الجنسية الأولى لفتاة صغيرة غير مستعدة للقسوة الذكورية ، مع ذلك فهي غير خجلة مما فعلته فقد خاضت مغامرة مثيرة ممتعة ومؤلمة في نفس الوقت .في عام ١٩٥٨ بلغت سن ال ١٨ ، حيث تتحدث عن تجربة إجتماعية[٣] حيث أقامت أول علاقة غرامية مع رجل فتسرد بجرأة تلك العلاقة. في تلك العلاقة وفي تلك الفترة المحورية من حياتها حيث تضم هذه الرواية (مذكرات فتاة) إلى رواياتها الأخرى من نفس النوع الادبي عن حياة ابيها " المكان [٤]" وعن حياة أمها " امرأة[٥]" وعن المجتمع الفرنسي " السنوات.[٦]". اشكالية البحث كيف تترجم الكتابة الذاتية والبوح الانثوي من لغة غربية الفرنسية المصدر الى لغة اخرى عربية الهدف؟ تحديات الترجمة بجراة الكاتبة بالاعتراف لاحداث حميمية البوح الانثوي ايام المراهقة؟

تأخذ اني أرنو القارىء في رحلة مؤثرة في أعماق الذاكرة لتعود بالسنين إلى الوراء فتعرض حلقة من حلقات ماضيها في مذكراتها الخاصة تصف نفسها بنفسها. تعمل تداخل روائي فهي وليست هي. تدور الأحداث في مخيم صيفي في منطقة (الارون), في أول ليلة تقضيها مع رجل ،تصف ليلة انتشرت فيها موجة من الصدمة بعنف في جسدها ووجودها على مدار سنين ،بالاعتماد على ذاكرتها ،وعلى

رسائل وصور مكتوبة ، تستجوب تلك الفتاة التي هي نفسها أرنو تتنقل بين الماضي والحاضر. تنقل لنا بأسلوب سلس احساساتها الجسدية ومشاعرها المرهقة في تلك الحقبة التاريخية في سرد متواصل من دون تقسيم الرواية إلى فصول, تعيد أرنو بهذه الرواية احياء احداث ماضية وبيان نتائج تلك الاحداث وتداعياتها النفسية والجسدية التي مرت بها.

اهمية اختيار الرواية :

تحتل رواية مذكرات فتاة مكانة خاصة ومميزة من بين رواياتها رواية لها فرادتها من بين كل اعمالها ففيها تواجه الحياة وآلامها بسن المراهقة. نجد فيها البعد الذاتي والطابع الحميمي والصدق العاطفي.الكاتبة نفسها ساردة ومؤلفة وهي ايضا الشخصية الريئسية بالرواية وهذا التداخل لايحدث الا في ادب السيرة الذاتية مستخدمة الضميرين انا وهي (je, elle).

تعكس بروايتها هذه تجربتها الشخصية من خلال ذاكرة حادة وقوية تسرد اعترافات شخصية وحقائق صادمة مع جراءة في الطرح وبراعة برسم الأحداث تحول احداث يومية إلى لوحة فنية رائعة من الوصف رغم أن الحدث مؤلم. فهي تنقب بين طيات الاحداث وتنفض الغبار عن ذكريات كامنة في خيالها وذاكرتها المتقدة. تؤرشف الاحداث وتستنطقها بأسلوب واضح وصريح لتعيد صياغتها بلغة بسيطة مع ذوبان في الآخر مقلدة اياه ومتبعه خطاه باسلوب اعترافي تظهر التفاصيل من دون تردد أو وجل ،وتحليل للظواهر كأنها محللة نفسية وعالمة اجتماعية. فهي تعتبر ذاكرتها نوع من أنواع المعرفة الأدبية تدون الاحداث وتكتبها معتزة بنفسها كامرأة منفتحة . تعيش تحولات جسدية ونفسية واجتماعية وثقافية وسياسية.

اترك القارىء يعيش لحظات مع هذه الاحداث الجريبة مع الكاتبة الفرنسية اني ارنو التي تحاول أن تفهم الحياة فترتمي في حضن ذاكرتها وفي احضان الامكنة والازمنة الماضية لتستمد مواد كتابتها من الأنا والمجتمع ، سيجد القارىء نص ابداعي فني تسرد فيه تحولاتها النفسية والجسدية والاجتماعية ووصف لمجتمعها الفرنسي بعد الحرب العالمية الثانية كيف تحرر المجتمع نحو الانفتاح وبدء يتنازل عن طابع المحافظة تدريجيا ، فالرواية نص تأملي للحياة والمجتمع والعالم مخزون في ذاكرتها ، تحاول أن تشرك القارىء لتكون تجربة مشتركة بين المؤلف والقارىء.من اهداف بحثنا بيان الاسلوب الذاتي للكاتبة بترجمته من النص الاصلي اسلوب بسيط وواضح بالكتابة بعيد عن التعقيد والتزويغ اللفظي بكتابتها المعروفة الكتابة السطحية كانها تقول لنا عبر هذه الذكريات ان الحياة مهما بدت مخجلة تخفي في طياتها اشعاعات مضيئة تحتاج الى بحث لصقلها من جديد .

هذا العمل الثالث لي مع هذه الكاتبة بعد أن بحثت مفهوم العاىلة عند اني ارنو باللغة الفرنسية في رواية المكان وامرأة ،ثم البحث الثاني ايضا بالفرنسية عن مفهوم السيرة الذاتية في أعمال اني أرنو ثم هذا

العمل الثالث حيث وقعت هذه الرواية بيدي فارتيت نقلها إلى القارىء العربي. مع كل الصعوبات المتخفية في لغة ارنو السطحية, احداث تاريخية مهمة بتاريخ فرنسا ظواهر

اجتماعية اسماء فنانين معروفين رياضيين مشهورين في تلك الحقبة الزمنية مع هوامش توضيحية مختصرة.فالكاتبة تجر الماضي الينا بالتخيل الذاتي من خلال تسجيل تجربتها الذاتي في المخيمات الصيفية للطلاب بعد افراغ ذاكرتها على الورق تسرد علاقاتها العاطفية أيام المراهقة والعلاقة مع الآخر.نضع بين ايدي القارىء العربي فرصة الاطلاع على تجربة ذاتية وتجربة شحصية لكاتبة فرنسية مشهورة نالت العديد من الجوائز الادبية كجائزة نوبل للاداب وجائزة رينودو الادبية وغيرها كثير .

خصائص الترجمة الادبية:

تتميز الترجمة الادبية كاحد فروع الترجمة بخصائص عديدة وبتحديات كبيرة فهي لا تقتصر على نقل المعنى للنص بل تتطلب الحفاظ على البعد الجمال والفني والثقافي للنص الاصلي مع اسلوب الكاتب وايقاعه بالكتابة. تحتاج الترجمة الادبية الى صدق وامانة في نقل المشاعر والاحاسيس والعواطف التي يسكبها الكاتب على الورق بالرغم من الحرية التي تعطى للمترجم بالتصرف لخدمة النص لكن لا يخل بالمضمون مع فهم عميق للنص الهدف واتقان للغتين المترجم منها والمنقول اليها ودراية بقواعدهما النحوية.فهي صياغة لغوية وفكرية , فالنص المترجم يفصح عن عمل كاتبين.[٧]

فالمترجم يتقمص دور المؤلف ليصوغ نصا ابداعيا بلغة اخرى يؤثر في القارىء بحس ادبي فني يقارب الحس الادبي للكاتب الاصلي. الملكة الادبية يجب ان توازي الملكة اللغوية عند المترجم لاثارة القارىء ويستطيع نقل افكار المؤلف ويوضح انفعالاته كما سنرى اللحظات الحميمية للقاء الاول في حياة الكاتبة مع رجل يعاملها بقسوة ذكورية على الفراش نقل احاسيسها ومشاعرها في روايتنا لهذا البحث محاولين تقمص شخصيتها.

ان يحافظ المترجم على روح النص ولايبتعد كثيرا عن النص الاصلي بنفس البساطة والسلاسة التي تكتب بها الكاتبة الاصلية كتفسير وشرح بشفافية للمفردة المنقولة من النص الاصلي.

على المترجم الادبي يحاكي المؤلف بالاسلوب والنبرة والايقاع ويظهر العناصر الجمالية كالاستعارة والمجاز والدقة بنقل المعنى مع الابداع في اختيار الكلمات الموازية وليس ترجمة حرفية تفقد النص معناه الادبي ليجعل القارىء يتعايش مع النص كانه نصا اصيلا وليس مترجما.

مما ساعدنا على ترجمة نص اني ارنو بهذا البحث هو لغتها الواضحة وابتعادها عن التعقيد بالكتابة والتشبيهات واسلوبها السلس والبسيط. تجنبنا النقل الحرفي للنص وحاولنا الصياغة العربية للنص كالحذف والاضافة لابراز مقاصد الكاتبة مع الحفاظ على تماسك النص. رغم ان النص يتضمن الفاظ جنسية حساسة وفيها بوح انثوي صريح لكن مع ذلك نقلنا الايحاءات الشعورية للحفاظ على روح النص,

ابراز اللغة الجسدية والعاطفية بجمل قصيرة معتمدا على صراحة الكاتبة وصدق مشاعرها الحميمية.الكاتبة صحيح انها عادت بالزمن والذاكرة لسنة ١٩٥٨ لكن كتابتها بلغة اليوم القرن الواحد والعشرون , عبرت الزمن باسلوب مباشر وواضح وبسيط خال من التزويق اللفظي واللغوي :" je ne suis pas revenue à la jeune fille que j'ai été l'été 1958 pour écrire un roman ,ni même un récit autobiographique, même pour comprendre, ce que je veux faire maintenant , c'est traverser ce temps, c'est peut-être impossible تقول لم اعد تلك الفتاة التي كنتها في صيف ١٩٥٨ لاكتب رواية ولا حتى سيرة ذاتية بل لافهم, ماارياده الان هو ان اعبر ذلك الزمن .

الصفحة الاولى من الرواية:

"هناك اشخاص تغمرهم واقعيات الآخرين، طريقة كلامهم،طريقة تقاطع أرجلهم حيث يضعون رجلا على اخرى، إشعالهم السيجارة.انهم غارقون في حضور الآخرين. ذات يوم، بل ليلًة ما، يجرفهم الشوق وإرادة الآخر الوحيد. ما كانوا يعتقدون أنه يذوب ويتلاشى . يذوبون وينظرون إلى صور انعكاسهم المتحركة يطيعون، يُحملون في مجرى غير معروف من الأحداث. دائمًا ما يتأخرون عن إرادة ذلك الآخر. هي دائمًا تسبقهم بخطوة متقدمة عليهم زمنيا. لن يلحقوا بها أبدًا.

لا خضوع ولا موافقة، فقط دهشة امام الواقع الذي يجعل كل شيء يبدو وكأنهم يسألون أنفسهم: "ماذا يحدث لي؟" أو "هل هذا يحدث لي أنا؟" باستثناء أنه لم يعد هناك وجود من "أنا" في هذه اللحظة، أو لم يعد هو "نفسه". لا يوجد سوى "الآخر"، المتحكم في الموقف، في الحركات، وفي اللحظة التالية التي يعرفها وحده.

"ثم يذهب الآخر، لقد توقفت عن إرضائه واعجابه، لم تعودي تهميه ولا تثيري اهتمامه.يتخلى عنك يتركك مع الواقع، مثل سروال داخلي ملوث. لا يهتم بك إلا بقدر وقته الخاص. أنت وحدك مع عادتك بالخضوع، بالفعل، في الطاعة. وحدك في زمن بلا سيد.

قد يحاول الآخرون الاقتراب منك ينتهزون الفرصة ليتحايلوا عليك، أن يندفعوا إلى فراغك، لكنك لا ترفضين لهم شيئًا، بالكاد تشعرين بهم. تنتظرين السيد، تنتظرين أن يمنحك النعمة بلمسك ولو مرة واحدة على الأقل. يفعل ذلك في احد الليالي، وأنت تملكيه بكل قواك دون تردد. لكن في اليوم التالي لم يعد موجودًا يختفي. لا يهم، أمل العثور عليه أصبح هدف حياتك وسبب وجودك، أن تلبسي له، أن تتعلمي وتتثقفي، أن تنجحي في امتحاناتك. سيعود وستكونين جديرًة به، ستبهريه بجمالك واختلافك، معرفة وثقة بالنفس واطمئنان، مع ذلك الكائن المبهم الذي كنته سابقًا. كل ما تفعلينه هو من أجل السيد الذي قدمته لنفسك في السر. لكن، دون أن تدرك ذلك، وأنت تعملين على اعلاء قيمتك الشخصية، جعلك تبتعدين

تدريجيًا عنه. تدركين جنونك، لم تعودي ترغبين رؤيته مرة أخرى. تقسمين على أن نسيانه تمامًا ولا تتحدثين عنه لأي كان.

لقد كان صيفا خالياً من الخصائص المناخية المميزة، لكنه شهد أحداث تاريخية مهمة من بينها عودة الجنرال ديغول، إعادة تأسيس الجمهورية، فوز بيليه كبطل لكأس العالم لكرة القدم١٩٥٨،و صيف فوز شارلي غول[٨] في سباق تور دو فرانس، وأغنية داليدا[٩] "قصتي هي قصة حب." L'histoire de mon amour.

الصيف بدأ طويلاً كما هو الحال دائماً حتى سن الخامسة والعشرين، قبل أن يبدأ بالاختصار ليصبح مجرد ذكريات متقطعة، ولا تتبقى سوى فصول الصيف التي تشهد جفافاً وحرارة شديدة.

صيف ١٩٥٨

كما في فصول الصيف السابقة ،أن بعض الشباب الأكثرغنى وحظاً، قضوا هذا الصيف مع أهلهم تحت شمس الريفيرا الفرنسية جنوبا في الكوت دازوغ la côte d Azur(ساحل جنوب شرق فرنسا على البحر المتوسط), بينما مجموعة آخرى, لكنهم يدرسون في الثانوية, بواسطة الباخرة ذهبوامن مدينة دبيب[١٠] إلى سانت جون بابيتيست لتحسين مهاراتهم في اللغة الإنجليزية التي تعلموها بشكل محدود من الكتب المدرسية بدون أن يتحدثوا بها.مجموعة أخرى، تتألف من طلاب في المدارس الثانوية والجامعات ومدرسين، كانت لديهم إجازات طويلة ولكن بموارد مالية محدودة، فانخرطوا في رعاية الأطفال في المخيمات المنتشرة في جميع أنحاء فرنسا، سواء في منازل كبيرة أو حتى في القصور. وكان البنات يحملن في حقائبهن فوطًا صحية، يتساءلن بخوف ورغبة في آن واحد، إذا ما كنَّ سيختبرن أول علاقة لهن مع شاب في هذا الصيف.

حين تم إرسال آلاف الجنود إلى الجزائر لإعادة النظام، وكانت هذه أول مرة ابتعدوا عن الاهل ويغادر فيها الكثير منهم منازلهم. وكتب هؤلاء الجنود عشرات الرسائل التي تحدثوا فيها عن الحرارة، الجبال، والقرى التي سكنها العرب الأميون الذين لا يتحدثون الفرنسية رغم مرور مئة عام من الاحتلال. كما أرسلوا صورًا لهم وهم يرتدون السراويل القصيرة ويضحكون، في مشهد بدا وكأنه من رحلة استكشافية للكشافة، حيث كانوا يبدون وكأنهم في عطلة،في فضاءات صخرية وجافة وبينم الفتيات لم يسألهم أحد عن آرائهم كما لم يكن لديهم رأي في القرارات السياسي وقد بدت الكمائن والاشتباكات المذكورة سواء في الصحف او المذياع وكانها تخص غيرهن,كما لو ان الامر لا يعنيهن, وجدن من الطبيعي ان يؤدي الفتيان واجبهم وكان الامر لا يتعدى ضوضاء معتادة كالعنزة المربوطة الى وتد لتلبية الاحتياجات الجسدية الرغبات الغريزية.

"لقد جاءوا في إجازة، وأحضروا معهم عقودًا، أساور، حلقات من الفضة على شكا تعاويذ لدرء الحسد والسحر ، وصينية من النحاس عليها مشاهد من الفانتازيا. غنوا 'اليوم الذي سيأتي فيه المطر'،

أغنية بيكو,[١١] le jour ou la pluie viendra. عادوا أخيرًا إلى ديارهم في انحاء فرنساالاربعة ، واجبروا على تكوين صداقات مع اشخاص اخرين لم يذهبوا الى شمال افريقيا دون أن يتحدثوا عن بلاد وعن الفلوزات[١٢] أوالكرويات او عن الحروب، وكانوا مملين، بكم. لم يعرفوا ما إذا كان ما فعلوه كان حسنًا أم سيئًا، شعروا فقط بالفخر أو بالخجل والخزي.

لا توجد صورة تعود لها في صيف عام ١٩٥٨. ولا حتى لعيد ميلادها، عندما كان عمرها ثماني عشرة سنة واحتفلت به في المخيم. لم تعد تذهب إلى المخيمات الصيفية، أو المخيمات – كانت الأصغر من ذلك بين أصدقائها المدربين والمدربات في المخيم. عيد ميلادها لقد صادف يوم إجازتها، وقد كان لديها الوقت للذهاب بعد الظهر إلى مركز المدينة وشراء زجاجات صغيرة من المشروبات الغازية بنكهة البرتقال، لكنها لم تحضر لنفسها سوى قبضة من الحلوى وكمية من بسكويت البودوار." ولكن قلة فقط وللحظات قليلة مروا في غرفتها لشرب كأس شمبانيا وتناول بعض الأطعمة ثم غادروا بسرعة ، ربما بعد أن اصبحت مملة وغير جذابة لأنها لاتحمل معها إلى المخيم لا اسطوانات ولا جهاز مشغل الاسطوانات.من بين كل الذين تعرفت عليهم في صيف ١٩٥٨ في مخيم (S) في منطقة (Orne)[١٣]، هل هناك من يتذكرها، هذه الفتاة؟ على الأرجح لا أحد.

لقد نسوها كما نسوا بعضهم البعض، جميعهم تفرقوا في نهاية ايلول، وعادوا إلى مدارسهم الثانوية، مدرسة تدريب المعلمين، كليات التمريض، مراكز التربية الرياضية ، أو طُلب منهم الالتحاق بالخدمة العسكرية في الجزائر. راضون معظمهم لأنهم قضوا إجازة مربحة مادياً ومعنوياً من خلال الاهتمام بالأطفال. لكن هي، نُسيت بلا شك أسرع من الآخرين، مثل شذوذ وخرق للمنطق السليم والمعنى الصحيح، فوضى – شيء مثير للسخرية لدرجة أن من السخيف تذكُّره. غائبة عن ذاكرتهم في صيف ٥٨، ربما اختُزلت اليوم إلى ظلال مبهمة في أماكن غامضة، إلى هذا (قتال الزنوج في قبو أثناء الليل) يشبه الذي كان يمثل، مع (ريلاش)، مزحتهم ومقالبهم المفضلة.

اختفت إذن من وعي الآخرين ،نسيت من كل لحظة الوعي المتداخلة في هذا المكان المحدد من مدينة(Orne)، في ذلك الصيف المحدد، هؤلاء الآخرين الذين كانوا يحكمون على الأفعال والتصرفات، إغراء الأجساد،جسدها هي، الذين كانوا يمتهنونها وينبذوها ويرفضونها، يهزون أكتافهم أو يرفعون أعينهم إلى السماء عند سماع اسمها لأول مرة ، الذي كان أحدهم يتفاخر لدرجة أن ينطق كلمات على اسم المغنية "آني ماذا **لديك؟** اني كوردي[١٤] هه هه.

"منسية تماماً من قِبل الآخرين،الذين اندمجوا في المجتمع الفرنسي أو في أماكن أخرى من العالم، متزوجون، مطلقون، وحيدون، أجداد متقاعدون بشعر رمادي غطاه الشيب أو مصبوغ. غير قابل وصعب للتعرف عليهم.

أردتُ أن أنسى تلك الفتاة أيضاً. نسيانها حقاً، أي ألا يكون لديّ رغبة في الكتابة عنها. ألا أفكر بأنني يجب أن أكتب عنها، عن رغبتها، عن جنونها، عن غبائها وكبريائها، عن جوعها وعن دمها حيضها الذي جف وتوقف. لم أتمكن من الوصول إلى ذلك أبداً.

دائماً ما كانت هناك جمل وعبارات عنها في يومياتي، إشارات إلى "الفتاة من S"، "الفتاة من ٥٨". منذ عشرين سنة، أكتب "٥٨" ضمن مشاريع الكتابة. إنه النص الذي دائماً ما كان مفقوداً. دائماً لم يُنجز نص مؤجل. الفجوة التي لا توصف.

لم أتمكن أبداً من التقدم إلى ما بعد بضع صفحات، إلا مرة واحدة، في عام كان التقويم فيه يتطابق تماماً يوماً بيوم مع تقويم ١٩٥٨. (يوم السبت، ١٦ أب ٢٠٠٣، بدأت بكتابة: "السبت، ١٦ أب ١٩٥٨. اشتريت بنطلون جينز مقابل ٥٠٠٠ الاف فرنك من ماري–كلود التي كانت قد اشترته من متجر إيلدا في مدينة روان مقابل ١٠٠٠٠ عشرة الاف فرنك، وسويتر صوفية بلا أكمام أزرق وأبيض مخطط بخطوط أفقية. هذه آخر مرة كنت فيها أمتلك جسدي)،واصلت الكتابة كل يوم، بسرعة، حريصة على مطابقة التاريخ يومياً بين عام ١٩٥٨ وكتابة الأحداث اليومية بتسلسل عشوائي بكل التفاصيل التي تطفو على صفائح الذهن.

التي كانت تعود للظهور من دون ترتيب. كان الأمر وكأن هذا الكتابة اليومية، اعياد الميلادالمتواصلة، كانت الاكثر قدرة على إلغاء الفاصل الزمني البالغ خمسة وأربعون عامًا، كما لو أن هذا المصادفة "يومًا بعد يوم" من التواريخ، كانت الكتابة تتيح لي الوصول إلى ذلك الصيف بطريقة مباشرة .بهذه البساطة والوضوح كما لو كنت أنتقل من غرفة إلى أخرى.

سرعان ما بدأت أتأخر عن مواكبة سرد الاحداث في كتابتي، بسبب التشعبات المستمرة التي نتجت عن تدفق الصور والكلمات، التي كانت تتكاثر. لم أتمكن من حصر وقت صيف ٥٨ في تقويم ٢٠٠٣، كان يفيض باستمراريتجاوزني. كلما تقدمت اكثر، شعرت بأنني لا أكتب حقًا. كنت أرى في هذه الصفحات التي من المفترض أن تكون عبارة عن جرد للأشياء، ولكنني لم أكن أعرف إلى أي حالة ماهو بالضبط. لم أكن أبحث عنه أيضًا. كنت أظل، ببساطة، في متعة ولذة تفريغ الذكريات. كنت أرفض الخضوع لألم الشكل. توقفت عن الكتابة بعد خمسين صفحة.

متر أكثر من عشر سنوات، إحد عشر صيفًا إضافيًا ليصل الفاصل الزمني إلى خمسة وخمسين عامًا تفصلني منذ ١٩٥٨، حدثت فيها حروب، الثورات، الانفجارات في محطات الطاقة النووية، كل ما حدث هو في طور النسيان.

الوقت أمامي يتقلص. سيكون هناك بالضرورة كتاب أخير، كما يوجد عشيق أخير، ربيع أخير، لكن لا يوجد أي علامة تل لذلك. تطاردني فكرة أنني قد أموت دون أن أكتب عن تلك التي كتبت عنها

مبكرًا "فتاة عام ٥٨". ذات يوم، لن يكون هناك أحد ليتذكرها. ما عاشته هذه الفتاة، لن تتذكره أي فتاة أخرى، سيبقى بدون تفسير، عاشته بلا جدوى.

أي مشروع كتابة آخر لا يبدو لي مضيئاً، ولا جديداً، بل أقل سعادة، لكنه حيوي ومصيري، قادر على جعلي أعيش خارج الزمن. مجرد الاكتفاء "الاستمتاع بالحياة" هو يبدو منظور لا يُحتمل، لأن كل لحظة تمر في مشروع الكتابة تشبه اللحظة الأخيرة في هذه الحياة.

أن أكون الوحيدة التي تتذكرتلك الاحداث، كما أعتقد، يسعدني. كانني امتلك قوة ذات سيادة. تفوق نهائي عليهم، على الآخرين من صيف ٥٨، الذين اورثني العار بسبب رغباتي،الخجل من أحلامي المجنونة في شوارع روان، الخجل من دم حيضي الجاف توقف عند الثامنة عشرة مثل عجوز. الذاكرة الكبيرة للعار، أكثر دقة في التفاصيل، أكثر صرامة من أي ذاكرة أخرى. هذه الذاكرة التي هي في الأساس هبة خاصة من العار.أدرك أن كل ما سبق يجب التخلص مما يبعدني عما يقيدني، يكبحني، مثل الأحلام السيئة والكوابيس، من التقدم. طريقة لتحييد عنف البداية، من القفزة التي أستعد للقيام بها للانضمام إلى فتاة عام ٥٨، هي والآخرين، لإعادتهم في ذلك الصيف من سنة تبدو أكثر بعداً اليوم مما كانت عليه في عام ١٩١٤في ذلك الزمان.

أنظر إلى صورة الهوية الشخصية بالأبيض والأسود، ملصقة داخل الدفتر المدرسي الخاص الذي أعدّه قسم التعليم الداخلي في مدرسة سان ميشيل في بلدة إيفيتو[١٥] من أجل البكالوريا، قسم الكلاسيكيات ج. أرى وجها مصورا من زاوية ثلاثة أرباع جانبيا، وجهًا بيضاويًا منتظمًا، أنفًا مستقيمًا، وجنتين بارزتين، جبهة عريضة على الأرجح تقصر قليلاً – ربما لخفض ارتفاعها وتقليص حجمها – جزء منها غريب الأطوار خصلة مجعدة من جانب وخصلة على شكل قلب مقوسة من الجانب الآخر. باقي الشعر، الكستنائي الداكن، مرفوع ومجموع خلف الرأس على شكل كعكة. الشفتان ترسمان ابتسامة قد تُوصف بأنها لطيفة عذبة أو حزينة، أو كلاهما. سترة داكنة، ذات ياقة عسكرية وأكمام قطرية، تعطي مظهرًا صارمًا ومسطحًا يشبه الثوب للراهبات. بالمجمل، فتاة جميلة، أنيقة، مما يعطي انطباعًا بالنضج والوداعة، في حين يُعتقد اليوم أن عمرها سبعة عشر عامًا.

كلما أطلت النظر إلى الفتاة في الصورة، زاد شعوري بأنها هي تنظر إلي. هل هي أنا التي تنظر إلي؟ هل هي أنا؟ لكي أكون مثلها، عليّ أن أكون قادرة على حل مسألة فيزيائية ومعادلة من الدرجة الثانية، أن أقرأ الرواية الكاملة المرفقة في صفحات "أمسيات طيبة[١٦]" كل أسبوع، أن أحلم بالذهاب أخيرًا في "جولة"، أن أكون من دعاة بقاء الجزائر الفرنسية، وأن أشعر بعيون أمي الرمادية تتبعني في كل مكان.

لم أقرأ لا بوفوار، ولا بروست، ولا فيرجينيا وولف، ولا غيرهم. اسمي آني دوشين.

بالطبع، ينبغي أنني لا أعرف شيئاً عن المستقبل، عن صيف ٥٨ هذا. يجب أن أكون مصابة بفقدان ذاكرة بصورة مفاجئة عن تاريخ حياتي وتاريخ ما جرى من احداث في العالم.

الفتاة في الصورة ليست أنا، لكنها ليست خيالاًكذلك. ليس هناك شخص آخر في العالم لديه معرفة دقيقة كتلك التي أملكها، والتي تسمح لي بالقول، على سبيل المثال، أن الصورة تم التقاطها في ساحة البلدية مع صديقتي الكبيرة أوديل، بعد ظهر احد أيام في عطلة شباط.

تجعيدات شعرها المسدل على الجبهة ناتجة عن لفافات الشعر التي تلفه حولها في الليل، ونظرتها الرقيقة ناتجة عن قصر نظرها – لقد خلعت نظارتها ذات العدسات السميكة.

لديها في زاوية الشفة اليسرى ندبة بشكل خدش – غير مرئية في الصورة – نتيجة سقوطها على قطعة زجاج مكسور عندما كانت في الثالثة من عمرها.

قميصها مصدره تاجر الجملة للأدوات الحردة في ميرسري، "ديلهوم"، من (فيكامب)، الذي يزود متجر والدتها بالجوارب، اللوازم المدرسية، ماء الكولونيا، إلخ، والذي يعرض عينات بضائعه المندوب مرتين في السنة على احد الطاولات في المقهى، وهذا المندوب الضخم، ببدلة وربطة عنق، انزعج منها يومًا ما عندما أشارت إلى أنها تحمل نفس الاسم الذي تحمله المغنية الشهيرة، تلك التي تغني ابنة رعاة البقر، آني كوردى.

وهكذا، إلى ما لا نهاية.لا أحد آخر، إذن، تحتفظ ذاكرتي به، إذا جاز التعبير، بقدر ما تحتفظ بها. وليس لدي ذاكرة أخرى غير ذاكرتها لتمثيل العالم في الخمسينيات، الرجال بملابس وسترات كندية والقبعات الباسكية، السيارات ذات الدفع الأمامي،اغنية نجمة الثلوج[١٧]، جريمة كاهن أوريف[١٨]، فاوستو كوبي[١٩] وأوركسترا كلود لوتر[٢٠] – لرؤية الناس والأشياء في تأكيد على واقعها الأساسي. الفتاة في الصورة غريبة جدًا، تلك التي ورثت ذاكرتي.

لا أستطيع أن أقول رغم ذلك أنني لم أعد مرتبطة بها، أو بالأحرى بالتي سأصبح عليها الصيف القادم، كما تشهد على ذلك قوة الاضطراب الذي استولى عليّ عند قراءة الصيف الجميل لبافيسي[٢١]وغبار لروزاموند ليهمان[٢٢]، أو عند مشاهدة الأفلام التي احتجت إلى إعداد قائمة بها قبل البدء في الكتابة:

(واندا)، في حال حدوث مصيبة، (سو تائهة في مانهاتن)،(الفتاة مع الحقيبة)وبعد لوسيا، الذي شاهدته الأسبوع الماضي.في كل مرة، أشعر وكأنني منقولة بعيدًا بواسطة الفتاة على الشاشة، وكأنني أصبح هي، ليس المرأة التي أنا عليها اليوم، بل الفتاة في صيف ٥٨. هي من تغمرني، تضبطني.نفَسي، يمنحني بشكل مؤقت انطباعًا بعدم الوجود خارج الشاشة.

تلك الفتاة من عام ١٩٥٨، التي تستطيع بعد خمسين سنة أن تظهر وتثير اضطرابًا داخليًا، لها إذًا حضور مخفي، لا يقاوم، في داخلي. إذا كان الواقع، وفقًا لتعريف القاموس، هو ما يؤثر ويحدث آثارًا، فإن هذه الفتاة ليست أنا، لكنها موجودة بشكل حقيقي في داخلي. نوع من الحضور الحقيقي.

في هذه الظروف، هل يجب أن أدمج الفتاة من ٥٨ والمرأة من ٢٠١٤ في "أنا"واحدة؟ أم أن هذا ما يبدو لي ليس الأكثر دقة – تقييم ذاتي – بل الأكثر مغامرة، من خلال فصل الأولى عن الثانية باستخدام هي وأنا، للوصول لأقصى مدى ممكن في عرض الحقائق والأفعال. وبأقصى قسوة ممكنة، على طريقة من يسمع خلف باب شخصًا يتحدث عن نفسه قائلًا "هي" أو "هو" وفي تلك اللحظة يشعر وكأنه سيموت حتى دون اي صورة، أراها، ارى آني دوشين، عندما نزلت في محطة "S" من القطار القادم من روان في بداية بعد الظهر، في الرابع عشر من أب. كان شعرها مربوطاً في شنيون عمودي خلف رأسها. كانت ترتدي نظارات قصر النظر التي تضيق عينيها ولكن من دونها تبدو وكأنها تغرق في الضباب. كانت ترتدي معطفًا من الصوف بلون البيج داكنا بثلاثة أرباع الطول وتنورة مستقيمة رمادية – جديدة تم شراؤها منذ ست سنوات – صُنعت خصيصًا لها، إلى جانب بلوزة بحرية مخططة. في يدها حقيبة سفر رمادية كانت قد اشترتها قبل ست سنوات من رحلة إلى لورد[٢٣] مع والدها والتي لم تُستخدم منذ ذلك الحين، وكيس بلاستيكي أزرق وأبيض على شكل دلو اشترته الأسبوع السابق من سوق مدينة إيفيتو.

المطر الذي قرع نوافذ المقصورة طوال الرحلة قد توقف. الشمس الآن مشرقة. تشعر بالحر الشديد في معطفها الصوفي وتنورتها السميكة الشتوية. أرى أمامي امرأة من الطبقة المتوسطة الريفية، طويلة وقوية البنية. ترتدي البسة مصنوعة باليد من اثواب نفيسة.

الى جانبها أرى صورة ظلية أصغر حجما، مربعة، لامرأة في الخمسينيات، ترتدي "زيًّا أنيقًا"، شعرها مصفف بشكل دائم باللون الأحمر، وتحمل رأسها بتسلط. أرى أمي، تعبير وجهها مزيج من القلق والشك وعدم الارتياح، تعبيرها المعتاد كأم "تراقب كل شيء"حذرة يقظة.

أعرف ما تشعر به هذه الفتاة في هذه اللحظة بالتحديد، أعرف رغبتها، الرغبة الوحيدة التي تشغلها: أن تغادر أمها وأن تعود إلى القطار في الاتجاه المعاكس. إنها تشتعل غضبًا وخجلاً من أن تُرى برفقتها – تحت ذريعة تغيير القطار في روان، كانت ترغب في السفر بمفردها تمامًا – لتُنقل إلى المخيم الصيفي كطفلة، في حين أنها ستبلغ الثامنة عشرة خلال خمسة عشر يومًا، وقد تم تعيينها كمدربة. أراها، لكن لا أسمعها. لا يوجد أي تسجيل لصوتي في عام ١٩٥٨، والذاكرة تعيد تشكيل الكلمات التي نطقت بها في صورة صامتة. من المستحيل معرفة ما إذا كان لديّ حينها نفس نغمة حديث سكان نورماندي، ذلك اللهجة التي كان عليّ أن أكون قد تخلصت منها بالمقارنة مع جميع أسلافي.ما الذي يمكنني قوله

عن هذه الفتاة، قبل أن يتوقف سائق المخيم الصيفي بسيارته أمام المحطة، وقبل أن تندفع إليه فورًا بعد رؤيته؟

بعد أن قبلت والدتها بسرعة لتؤكد لها رغبتها الواضحة في الصعود إلى القطار أيضًا، وتركت الأم واقفة على الرصيف مرتبكة، والحزن ظاهر على وجهها بسبب هذا السفر. ما الذي كانت ستعرفه لاحقًا عن هذه الرحلة؟ بأنها اضطرت إلى النوم في فندق في مدينة "كان"[٢٤] بسبب عدم وجود مواصلة مساء ذلك اليوم إلى "روان"، متصورة أن ذلك كان الأفضل لها، وأنه كان عليها فقط تركها تذهب بمفردها إلى "S".

ماذا يمكن قوله عمّا شعرت به في تلك اللحظة، كما كان بالفعل، في ظهيرة شهر اب تحت سماء "الأورني" المتغيرة، في جهلها بما سيبقى دائمًا خلفها بعد ثلاثة أيام، فقط في هذه اللحظة التي ظلت دون وضوح، بعيدة عن أعيننا لأكثر من خمسين عامًا؟

ما هي الأمور التي قد لا يمكن اعتبارها مجرد تفسير – أو تفسيرا لوحدها – لما سيحدث؟ ربما كان من الممكن ألا يحدث ويمكن تجنبه لو أنها لم تخلع نظارتها، وتحرر شعرها من الكعكة، وتتركه ينسدل متموجا على كتفيها، وهي تصرفات لم تكن تظهر أمام نظر والدتها؟

ما يخطر ببالي تلقائيًا: كل ما فيها هو رغبة وكبرياء. وأيضًا: كانت تنتظر أن تعيش قصة حب.

أشعر بالرغبة في التوقف هنا، كما لو أنه لا شيء آخر جدير أن يُقال، سواء كان ذلك الآن أو لاحقًا

"للإدراك لاحقًا. إنها مجرد وهم رومانسي، تعريف جيد لبطلة من نسج الخيال. يجب الاستمرار، تحديد المجال الاجتماعي، العائلي والجنسي – حيث يزدهر في تلك اللحظة رغبتها وكبرياؤها، وانتظارها، والبحث عن أسباب الكبرياء ودوافع الحلم.

يجب القول: إنها المرة الأولى التي تبتعد عن والديها. لم تخرج قط من قريتها المغمورة.

باستثناء الرحلة إلى "لورد" بالحافلة مع والدها عندما كانت في الثانية عشرة من عمرها، والرحلة الشعارية المعتادة كل صيف في بلدة "ليزيبيه"[٢٥] حيث، بعد الصلوات الصباحية في دير"كارميل" وكنيسة الحجاج الكبرى، ياخذ سائق الحافلة الحجاج الى شاطئ "تروفيل"[٢٦]، حياتها كانت تمر منذ طفولتها بين متجر الغذائيات–المرسيرية– البقالة والمقهى الخاص بوالديها ومدرسة "سان ميشيل" التي تديرها الراهبات وفقًا لنظام محدد كانت تسلكه يوميًا مثل التلاميذ الخارجيين مرتين في اليوم. أما العطلات، فكانت تقضيها في "إيفيتو"، إما تقرأ في الحديقة أو في غرفتها.

طفلة وحيدة ابويها، مدللة – لأنها وُلدت بعد وفاة أختها الأولى وهي في السادسة من عمرها، ولأنها هي نفسها كادت أن تموت من التيتانوس وهي في الخامسة – فالخروج، وإن لم يكن ممنوعًا عليها

كليا، فهو مصدر قلق (بالنسبة لوالدها) ومصدر ريبة (بالنسبة لوالدتها). كان لا بد من موافقة وضمانة ابنة عم أكبر سنًا أو زميلة في الصف كي يُسمح لها بالخروج. لم يُسمح لها أبدًا بالذهاب إلى حفلة راقصة. لقد رقصت لأول مرة منذ ثلاثة اشهر وفي حفلة الكرنفال المنظم تحت الخيمة المنصوبة في ساحة البلجيكين وكانت والدتها تراقبها من كرسيها . وفي قائمة ما تجهله اجتماعيا ستكون بلا نهاية، فهي لا تعرف استخدام الهاتف. ولم تأخذ دوشا ولا حماما في الخارج قط، وليس لديها اي خبرة في البيئات الاخرى غير بيتها الأصلية ذات الطابع الريفي التي تنتمي اليها، وسط شعبي فلاحي الكاثوليكي ، من هدة المساحة الزمنية ، اراها مترددة وخجولة ،بل غير لبقة، مع إحساس كبير بعدم الأمان في اللغة والسلوك او في القول والفعل. اكثر لحظات حياتها حيوية هي عندما تكون مع الكتب التي تحب قراءتها ، فمن خلالها ومن خلال المجلات النسائية تعرف العالم.

–في المنزل ، على أرضها ،تتمتع ابنة بائعة البقالة – كما يسميها اهل الحي – بكل الحقوق وتتصرف بكل حرية ، تأخذ ما تشاء من علب الحلوى والبسكويت، وتظل تقرأ على السرير حتى الظهيرة خلال العطلة ، لا تهيا قط مائدة الطعام ولا تلمع حذاءها ابدا . تعيش وتتصرف كملكة. بكبرياء الملكلة – الذي لا ينبع كثيراً من كونها الأولى في الصف، وهو نوع من الحالة الطبيعية او من اعلان المديرة الاخت ماري من الافخارستيا ، انها فخر المدرسة الداخلية تلك بل لانها تحل المسائل الرياضية، واللاتينية والانجليزية. وكتابة المقالات الادبية وهي امور لا يدركها احد حولها باي شكل ان تكون الاستثناء المعترف به من قبل باقي افراد العائلة ، العمالية التي تتسال خلال وجبات الاعياد ومادب الحفلات (من اين ورثت كل ذلك) موهبة التعلم و فخرها احساسها باالاختلاف . الاستماع إلى موسقي براسيس وفرقة Gate على جهاز التسجيل الالكتروفون الخاص بها بدلاً من كلوريا لاسو yvette Horners [٢٧] و Gloria[٢٨] تقرا ازهار الشر لبودلير بدلاً من مجلة نحن الاثنين[٢٩] ، كتابة يومياتها الشخصية ،نسخ قصائد وتأملا ت للكتاب,الشك في وجود الله، رغم أنها لم تتجاهل ابدأ القداس الاسبوعي وتشاراك في الاحتفالات الدينية، من دون شك هل هي في منطقة مترددة ومتذبذبة بين الإيمان وعدم الإيمان ، متحررة شيئا فشيئا عن الأسطورة ولكنها متشبثه بالصلاة وبطقوس دينية والأسرار المقدسة.

فخورة برغباتها كحق مكتسب بسبب اختلافها:

الرحيل من Yvetot ،هروبها من ملاحقة نظرات والدتها ،من المدرسة، من المدينة باكملها.لتفعل ماتريد، تقرأ طوال الليل ،ترتدي الأسود مثلGreco [٣٠] juillet, تتردد على مقاهي الطلاب ، ترقص في شوارع بوفوازين في مدينة (Rouen)روان, الدخول الى عالم مجهول تظهر معالمة من الاشارات التي تبعثها الطالبات في المدرسة الداخلية ،اسطوانات باخ ،مكتبة، اشتراك في مجلة الواقعيات[٣١] ، تنس، شطرنج، مسرح ، حمام خاص، تلك الاشارات التي جعلتها في الوقت نفسه مرغوبة ومخيفة،لكنها منعتها

من دعوة الطالبات إلى منزلها.حيث لا صالون ولا غرفة طعام، فقط مطبخ صغير محشور بين المقهى والبقالة، ودورات المياه في الفناء – عالم تتخيل اهله حيث يُناقشون الشعر والأدب، معنى الحياة والحرية، كما يجري في سن الرشد، رواية سارتر التي عاشت في ثناياها طيلة شهر تموز وأصبحت شخصية إفيتش.ليس لها "أنا" محدد، بل "ذوات" تتنقل من كتاب إلى آخر.

أعرفها بيقين لا يتزعزع، بثقتها ذكية، بقوتها المتجلية وجسدها المتين بردفيها البارزين وفخذيها ومؤخرتها في عمر السابعة عشرة. اعرفها إيمانها بمستقبلها، كما تمثلته متجسدا في لوحة السلم الأحمر لسوتين[٣٢]، وقد قصّت صورته من مجلة قراءات للجميع[٣٣]. أراها تصل إلى المخيم مثل دجاجة أفلتت من الحظيرة، وحيدة وحرة لأول مرة، يعتريها بعض التردد والخوف. متعطشة للقاء أقرانها، أولئك الذين تتخيل أنهم يشبهونها. الذين سيتعرفون إليها كقرينة لهم. كانت أمها تبقيها دائماً بعيدة عن الأولاد، وكأنهم الشيطان ذاته. ومنذ أن كانت في الثالثة عشرة، لم تكفّ عن الحلم بهم. لا تعرف كيف تحدثهم، وتتساءل كيف تفعل ذلك الفتيات الأخريات اللواتي تراهن واقفات يتبادلن الحديث معهم في شوارع افيتو Yvetot، قبل بضعة أشهر،قبّلها طالب في مدرسة الزراعة للمرة الأولى، تبعها من دون أن يتفوه بكلمة، واستمر يتتبعها حتى باب بيتها، مستعملة الحيل لمراوغة المراقبة اللصيقة لوالدتها. كانت تغامر في كل مرة بالتغيب عن ثلاثة أرباع قدّاس الأحد الطويل، تنتظر بلا نهاية في منزل الخياطة، خوفًا، شوقًا، إلخ. فقدت عذريتها قبيل امتحان البكالوريا، وكأنما كان ذلك عقابًا غامضًا.

لم تر َسابقا قط، ولم تلمس قط عضوًا ذكريًا. لم تدرك تمامًا ما الذي جرى، لم تفهم أين كانت عن الفُحش.كانت تموت شوقًا وتتلهف لأن تمارس الجنس، لكن بالحب وحده، لا غيره. كانت تحفظ عن ظهر قلب مقطعًا من رواية البؤساء، عن الليلة الاولى ل كوزيت وماريوس: «على العتبة لليلة الدخلة، ملاك واقف، باسِم، يشير بإصبعه نحو فمه. الروح كانت واقفة هناك، في تأملٍ للحب، كأنه احتفال مقدّس بالحب.»

كيف يمكن إيقاظ ذلك الخيال الجنسي المطلق؟ ذلك الـ "أنا" الذي كان، حينها على عتبة المخيم، كليًا مجهولًا؟ كيف السبيل اللا احياء هذا الجهل الجنسي المطلق هذا الانتظار لذلك الامر المجهول.والاكثر رؤعة في الوجود ذلك السر العظيم الذي يهمس به منذ الطفولة ,ولكنه لا يوصف ولا يكشف عنه حتى الآن مع ذلك أن هذا الفعل الغامض الذي يدخلنا الى حفلة الحياة الى جوهرها ، يا الهي ، الا نموت قبل ان نعيشه والذي تثقل عليه الممنوعات والخوف من النتائج او العواقب . كما هو الحال في هذه السنوات اوجينو ogini[٣٤], التي كانت السنوات الاسوء في ما تتركه من انعكاس ، لاغراء الثمانية أيام من الحرية بالشهر قبيل حلول الدورة الشهرية . ذاكرتي تعجز وتخفق والمحرم – من انتظار التجربة المقدسة والخوف من "فقدان عذريتي » تلك القوة الرهيبة في معنى التعبير تضيع مني

وفقدتها الان كما فقد هذا المعنى معظم سكان فرنسا ، لم أتجاوز بعد بوابة المخيم ، اجد صعوبة في هذا الجهد لفهم فتاة ١٩٥٨ وكأنني أسعى لخلق " ملفها الشخصي. » بأدق صورة ممكنة وباكبر قدر من الدقة ، وكانه لا توجد سمات نفسية واجتماعية كافيه التحديد ملامحها انها اشبه بلوحة غامضة، معقدة، تترك المشاهد في حيرة . ربما يمكنني تلخيصها بـ (التلميذة المثالية) في مدرسة الراهبات الدينية في الريف منحدرة من عائلة متواضعة والتي تسعى لحياة بوهيمية في تبني لغة وثقافة برجوازية ، او اعتماد لغة المجلات وتتربى في تقدير الذات والاعتداد بالنفس وهو شكل مختلف الفتاة تغذيها النرجسيه بشكل لا مثيل له.

لا اعرف اذا كانت هذه الفتاة التي صعدت في السياره نحو المخيم ، ستكون معروفه هناك هي بالتأكيد لا تحدث في نفسها ولا تفكر في نفسها بهذه الطريقة ، ولكن ربما بكلمات سارتر وكامو camus عن الحرية والتمرد ، في تلك اللحظة، أعلم جيدا انها كانت غارقة بالتوتروتغمرها الرهبة لانها لم يسبق لها الاشراف قط بالاطفال من قبل وقد قبلت بالمخيم دون أن تتلقى الي تدريب كمدربة . لعدم بلوغها السن القانوني – الثامنة عشرة عاما– للقيام بالدورة التدريبية التي تعد لهذه المهمة ، في عدم قدرتها (عجزها) عن استعادة لغتها ، وجميع اللغات التى تتضمن خطابه الحميمي يبدو انه بلا جدوى في محاولة استعادة من خلال بناء ما كان ,كما اعتقد ان ذلك ممكنا من خلال تاليفي الكتابه(كل ما يقولونون او لا شيء)[٣٥] – أستطيع على الأقل اخذ عينات من الرسائل الموجهة الى صديقة لها في الصف ، غادرت المدرسة الداخلية في السنة الماضية... الرسائل التي اعيدت الي في سنة ٢٠١٠ تبتدىء الرسائل كلها بـ عزيزتى ماري كلود وتنتهي بـ وداعا وداعاً على الطريقة المدرسية, وفي تلك التي تسبق وصولها بأشهر الى المخيم هناك كتبت : اتمنى ان اترك هذا الصندوق (المدرسة الداخلية) حيث نشعر بالبرد والملل والاختناق ، ولهذه المدينة الكريهة افيتو.

لجذب انظار الشباب نضفر الشعر وازالة الصبغ عن الاظافر والقمصان بدون احزمة ، من الرائع ان تكوني شابة ، لست على عجلة لأجد نفسي محبوستاً في اغلال الزواج. فتاة ٥٨ تقدر كل ما يبدو لها متحررا ؟ أو حداثياً مسايرا للعصر . تنتقد في وصف "فتيات المبادئ" ب ، الرجعيات ، او اللواتي يبحثن عن زوج له ثروة كبيرة ». هي تعشق كتابة مواضيع التعبير في اللغة الفرنسية عن الادب والتي تنسخ مواضيعها لصديقها هل يعتبر رابليه لغزاً ؟ بوالو[٣٦] قال " احبوا العقل ، وموسيه[٣٧] قال: تحرروا العقل او تصرفوا بلا عقل ، الخ..

.كان محتوى المراسلات يدور حول الحياة المدرسية وقراءات(ساغان وكامو – الانسان المتمرد على الواقع يوصف بالصعب أو المعقد) الحديث عن المستقبل او من الوجود بصورة عامة، بنبرة مليئة بالحماس الاعلان بان "الحياة تستحق أن تعاش "، تكرر غالباً الحديث بخصوص الحفل الراقص الذي

ذهبت اليه في افيتو yuetot احسست بدوامة من الجنون ، احسست لأول مرة شيئا من السعادة، وشعرت بأرتياح عظيم وقالت ذلك بصوت عال" انا سعيدة" ،، لاشيء عن والديها بلا ادنى شك ، في كل الرسائل ، على الرغم من صدقها ، الا انها تبدو لي ، مفعمة برغبة ماري كلود في التعبير عن عدم احترام السلطة ، قراءة الروايات المعاصرة في مكتبة والدها ، المهندس ، تمثل نموذجاً جديراً بالاعجاب بالنسبة لها – تقدم لها بوابة نحو عالم متحضر فيه تشابه الاذواق ، والاحاسيس – والمواقف تجاه الآخرين والحياة .يوجد ذلك بشكل أكبر في القصائد والجمل من كتابات الكُتَّاب التي أُعيدت كتابتها بعناية في أجندة لعام ١٩٥٨ ذات غلاف أحمر من الكرتون – أجندة تجارية قُدمت كهدية من أحد تجار الأجبان وتم الاحتفاظ بها عبر تنقلاتي الكثيرة – حيث أجد الاحتمال الأكبر لالتقاط شذرات من خطابي الداخلي.

هذا لأن الفتاة في تلك الفترة تعبر عن نفسها من خلال الوكالة، بكلمات ترسم تصورًا مثاليًا لوجودها بعيدًا عن الابتذال وقسوة لغة محيطها – كما تعتقد.

إلى جانب حوالي عشرين قصيدة لبريفير، هناك بعض من قصائد جول لافورغ[٣٨]، موسيه، وبعض الاقتباسات المنفصلةوالابيات المعزولة:

"استقبلت الحياة كما يُستقبل اللحن

وكما يُصفِّر على شخص غريب

تابعته دون أن أعرفه" (بيير لوازو).وأخرى،لبروست حول الذاكرة واخرى نسيت مصدرها:

"لا يوجد سعادة حقيقية سوى تلك التي يدركها المرء أثناء الاستمتاع بها" (ألكسندر دوما الابن).

"كل رغبة أغنتني دائمًا أكثر من امتلاكها، الذي يكون دائمًا زائفًا بالنسبة لرغبتي" (أندريه جيد).

ها هي الفتاة التي ستدخل المخيم.انها فتاة حقيقية خارج عني انا، اسمها مدون في سجلات ايريوم المركز الصحي لبلدة S اذا ما هم احتفظوا. بها اسمي عندما كنت فتاة باكر، لقبي العائلي الذي كنت اعتبره رنانا جداً، والذي لم احبه ربما لانه كان من الجانب السيء حسب تعبير والدتي، وكنت افضل لقبها العائلي Dumenil الناعم والمكتوم.

دوشين هذا الاسم الذي فقدته بعد ذلك بست سنوات بخفة، ربما بارتياح، في بلدية روان، معتمدة في نفس الوقت انتقالي الى الوسط البرجوازي ومحو S وما جرى فيها.حقيقي ايضا هذا المكان الذي اصبح مع مرور السنوات في ذاكرتي اشبه بقصر، مزيج من قصر المولن الكبير او العظيم[٣٩]، والسنة الماضية مذكور في ماريابناد[٤٠]، الذي لم اتمكن من العثور عليه عند عودتي بالسيارة في خريف عام ١٩٩٥ عائدة من Saint-Malo[٤١] واضطررت الى التوقف في الشارع الكبير S وسالت احد بائعة صحف عن كيفية الوصول الى اليريوم المركز الصحي، ثم أمام نظرتها المبهتة الحيرى، وكأنها لم تسمع

بهذه الكلمة من قبل، اوضحت "المعهد الطبي التربوي القديم، اعتقد" تدلني على الطريق، هذا المكان الذي اكتشفت اليوم فقط، مندهشة على الانرتيت انه كان عبارة عن دير تأسس في العصور الوسطى، ثم هدم واعيد بناؤه وتحويله على مر القرون، لا يمكن زيارته إلا خلال أيام التراث[٤٢].

في الصور الحالية التي تمثل المكان، لا توجد اي علامة على وظيفته السابقة كمركز صحي، الذي كان يتحول خلال الصيف الى مخيم كبير.المركز الصحي قادر على استيعاب دفعتين متتاليتين من مئات الأطفال الذين يعانون من الضعف أو يُصنّفون ضمن ذوي "الخصائص السلوكية المتقلبة" تحت إشراف حوالي ثلاثين من المدربين المراقبين، ومدرسي الرياضة، وطبيب، وممرضتين.على العكس، لا توجد أي إشارة للطابع التاريخي للمكان على هذه البطاقة البريدية المُرسلة في أواخر أغسطس ١٩٥٨ إلى أوديل – وهي الصديقة الحميمة في المدرسة الداخلية، لكن بدرجة أقل حميمية من ماري–كلود، لأنها ابنة الفلاحين، مما يجعل علاقتها بأوديل أقل تعقيدًا من علاقتها بابنة بائعة البقالة، حيث تتخطى العلاقة الاجتماعية الحاجة إلى التعبير عنها بالكلمات. يكفي أن تتحدثا فيما بينهما، وهما تضحكان، ببعض الكلمات من اللهجة المحلية.

على هذه البطاقة البريدية، التي قامت أوديل بنسخها قبل عدة سنوات لاجلي، أرى منظرا من المباني القديمة ذات المظهر الجاد، مصنوعة من الحجر والطوب قليلاً بلون أصفر، ويتكون المجمع من ثلاثة أجنحة غير متساوية في الطول والارتفاع، تشكل حرف "T" مقلوب، حيث يوجد الجناح العمودي بشكل منحرف ومنزاح قليلا الى اليمين.

الجناح الأقصر يشبه الكنيسة الصغيرة.في المدخل الضخم تحيط به بوابتان. يبدو المجمع يعود لفترات مختلفة، يغلب عليها هيمنة طابع القرن الثامن عشر. هناك ملعب رياضي يقع بين الجناحين. على يسار المدخل، توجد مبان صغيرة من نوعية بناء ما بعد الحرب العالمية الثانية. إلى اليمين، يمتد حديقة يحيط بها جدار يطوّق كامل المنطقة المرئية في الصورة.

في الخلفية: المركز الصحي في Aérium de S[…] - Orne. في اللحظة التي كنت اتهيا فيها لادخال (اني دوشين) الى البناء في ١٤ اب ١٩٥٨ وجدت نفسي بحالة من الجمود الذي ينذر غالبًا بالتخلي عن الكتابة أمام صعوبات لا أستطيع تحديدها بوضوح. والتي لا تأتي من نقص الذكريات: بل عليَّ بالأحرى الا اترك مقاومة تدفق الصور – غرفة، فستان، معجون أسنان "إيميل دياما‌ن": الذاكرة مثل مصممة أزياء مجنونة تتابع تسلسل الأشياء وتضعني في موقف المتفرجة المندهشة في فيلم يفتقر إلى المعنى. ألا أواجه بالأحرى هذه المشكلة: فهم واستيعاب سلوك هذه الفتاة، آني د، سعادتها ومعاناتها، ووضع هذا كله في سياق القواعد والمعتقدات السائدة في المجتمع قبل نصف قرن، في سياق مايبدو

طبيعيا وواضحا للجميع، باستثناء شريحة صغيرة من المجتمع "الأكثر تطورًا"، والتي لم تكن هي ولا الآخرون من المخيم جزءًا منها.

الآخرون. لقد كتبت أسماءهم الأولى الشخصية وألقابهم في الصفحات البيضاء على الحاسوب. أسماء الأولاد أولاً. بالنسبة للأسماء الشائعة الشائعة جدًا، كان تكرار الحالات بنفس الاسم الأول يعادل عدم العثور على أي منها. لم يكن هناك أي دليل لمعرفة اي من بين هؤلاء الاشخاص الحاملين لاسم "جاك ر" كان موجودا في المخيم صيف عام ١٩٥٨. كانت هويتهم قد ذابت في وسط الحشود. بعض الأسماء المسجلة في اسفل النورماندي أقنعتني، ربما بالخطأ، بأنني أتعامل مع أولئك الذين كنت أتذكر أنهم كانوا يعيشون هناك بالفعل في هذه المنطقة عام ١٩٥٨. وبالتالي، لم يهاجروا أبدًا خارج أراضي شبابهم. هذا الاكتشاف أربكني. وكأنهم بقوا هناك دائمًا متشبثين بمنطقتهم وبهويتهم الجغرافية.

حاولت تجربة أسماء الفتيات. لم يبدو لي أي منها جديرة بالثقة، فربما تزوجن تقريباً جميعاً وتغيّرت أسماؤهن مثلي، ولم يستفدن من العرض الإلزامي للدليل الذي يقترح: "أدخل اسمك قبل الزواج لتتمكن من العثور عليك بسهولة من قِبل معارفك القدامى."

وسّعت بحثي على جوجل. حدّدت بيقين، على موقع "أصدقاء سابقين"، (ديدييه د)، طالب سابق في المدرسة البيطرية في ميزون ألفور[٤٣]، وبطريقة أقل يقيناً، (جاي أ)، من شمال فرنسا، الذي ظهر اسمه في العديد من المواقع الرياضية في ليل وضواحيها.

عدت إلى الدليل، وأعدت من جديد كتابة الأسماء، متسمرة بدهشة امام شاشة الكمبيوتر كما لو كنت على حافة عالم الاعراف[٤٤]، حيث كنت سأحاول استرجاع واحد من الأشخاص الذين غمرتهم الذكريات منذ صيف ٥٨. هل كانوا هؤلاء، أولئك الذين حددت شركة فرنسا تيليكوم مواقعهم على الخريطة بنقطة زرقاء؟ أولئك الذين كانوا تحت الظل الداكن لسقف كشفته صورة التُقطت من السماء، وعندما كُبرت إلى الحد الأقصى، ظهر نفس الدائرة الزرقاء الصغيرة محيطة بموقعهم مثل هدف في حالة تصويب؟

راودتني فكرة الاتصال بهم، حتى أولئك الذين لم أكن متأكدة إن كانوا هم. بحجة اجراء تحقيق صحفي حول المخيمات الصيفية في الخمسينيات ,فكرت انتحل شخصية صحفية لاطرح اسئلة هل كنت في مخيم خلال صيف ١٩٥٨؟ هل تتذكر المدربين؟ هل تتذكر المدربة اني دوشين التي لم تمضي وقتا طويلا في التدريب لانها انتقلت الى مكتب الطبابة فتاة طويلة ترتدي نظارات شعرها طويل ؟ ماذا يمكن ان يقال لي بشانها, سيتسالؤن عن سبب اهتمامي بها, او سيقولون انني اخطات في رقم الهاتف ويغلقون الخط بوجهي. بعدها سالت نفسي لماذا هذا البحث؟ ليس التحقق من انهم لا يتذكرون شيئا عن اني دوشين ولا حتى فرضية مرعبة حقا ان كانوا يتذكرون شيئا عنها. يعمل بعض الفتيان والفتيات كمدربين

طوال العام في المركز الصحي. وهي الوحيدة القادمة من مؤسسة دينية. من المؤكد أنها تكره المدرسة الداخلية (سان ميشيل) لكنها لا تملك أي خبرة في عالم علماني، حيث يكون، على سبيل المثال، يوم ١٥ أغسطس يومًا عاديًا مثل بقية الأيام، وهو يوم استقبال الأطفال في المخيم الصيفي، وهذه هي المرة الأولى التي ستغيب فيها عن القداس من أجل عيد انتقال العذراء(عيد الصعود).خلال أول وجبة إفطار، سألها أحدهم: "في أي مدرسة تدرسين؟" ترددت قليلاً – فبالنسبة لها، كلمة علبة"bahut" تعني صندوقًا أو سيارة أجرة في اللغة العامية – لكنها أجابت: "في ثانوية (جان دارك)في روان".

وعندما أرادوا معرفة ما إذا كانت تعرف هذه الفتاة أو تلك، اضطرت إلى الاعتراف بأنها سجلت فيها للتو وستلتحق بها فقط في العام الدراسي القادم، وأنها كانت حتى الآن في مدرسة دينية مغلقة. الاختلاط يربكها. إنها ليست مستعدة لعلاقات الزمالة البسيطة والرفقة البريئة بين الفتيان والفتيات الذين يعملون في نفس المجال. إنها حالة جديدة بالنسبة لها. في الواقع، لا تعرف كيف تتحدث إلى الأولاد لأن أسلوب المزاح الشعبي، الذي يجمع بين الدفاع والإغراء والسخرية في الشوارع حيث يتعقب الأولاد الفتيات للمعاكسات ، غير مألوف لديها. خلال الاجتماع الذي سبق وصول الأولاد، وهي تنظر إلى مجموعة من حوالي خمسة عشر فتى من الحاضرين، لم تجد أحدًا يناسب حلمها بقصة حب.

صورتان من الأيام الأولى:

على العشب المغمور بأشعة المشمس، وقت الغداء، أمام أبواب صالة الطعام، تحت قيادة المدير الأنيق في سترته وسرواله بلون أوراق الخريف، تجمع مائة طفل يغنون أولاً بهدوء وبصوت حافت، ثم يعلو صوتهم شيئًا فشيئًا حتى يصل إلى هدير يبعث القشعريرة، قبل أن ينخفض مجددًا ليصبح همسًا بالكاد مسموعًا:

بابا! ماما! هذا الطفل لديه عين واحدة فقط!

بابا! ماما! هذا الطفل لديه سن واحدة فقط!

آه! يا إلهي، كم هو مزعج أن يكون لديك طفل بعين واحدة فقط!

آه! يا إلهي، كم هو مزعج أن يكون لديك طفل بسنة واحدة فقط!

على عشب الحديقة، اثنتا عشرة مراهقة يرتدين الزي الموحد، قميصًا وسروالًا أزرقًا قصيرًا، يرقصن، ممسكات بأذرع بعضهن البعض متشابكات. في الوسط، مدرِّبة شقراء ذات ذيل حصان شعرها تقودهن بحماس، في خطوات أحيانًا إلى اليمين وأحيانًا إلى اليسار، وهنّ يغنين:

"أحذيتي، أحذيتي، مليئة بالثقوب / أنا حمقاء، أنا حمقاء."

أقرأ بالحاح هاتين الصورتين افتتان الفتاة ذات الـ ٥٨ عامًا بعالم منظم بدقة، مضبوط ومرتب ترتيبا صارما بصافرة دوارة، موزون بأغاني المسيرات، في جو من الفرح والحرية.

مجتمع يكون فيه الجميع، من المدير إلى الممرضات، في مزاج مرح ورائق، حيث يبدو فيه الكبار البالغون، لأول مرة، يمكن تحملهم لها.

عالم مغلق مثالي حيث الجميع...يتم تلبية الاحتياجات فيه بوفرة، وسخاء في الطعام، وألعاب وأنشطة لم تكن متوقعة منذ أيامها في مدرستها الداخلية في إيفيتو.أقرأ في ملامحها رغبتها في التأقلم مع هذا الوسط الجديد، لكن أيضًا خوفها الخفي من عدم القدرة واخفاقهاعلى ذلك، من عدم الوصول أبدًا إلى نموذج المدربة الشقراء – فهي لا تعرف أي أغنية لا يُذكر فيها الله او اي نشيد لا يذكر فيه الرب.

(شعرت بالارتياح في اليوم الثاني عندما علمت أنها لن تكون مسؤولة عن أي مجموعة، بل ستكون "مدربة متنقلة"، أي تحل محل المدربين أثناء يوم إجازتهم).

لقد مضى ثلاثة أيام منذ وصولها إلى المخيم. إنه يوم الإثنين. في المهاجع، الأطفال بخير نائمون. أرى كيف رأيتها، ثم رأيتها تنزل السلالم مرتدية زيّها سروال جينز وسترة زرقاء بلا أكمام، صندلاً بدون كعب، وسترة بحرية ذات أزرار. خلعت نظاراتها وربطت شعرها الطويل الرطب يتماوج على ظهرها.كانت في حالة من الإثارة الشديدة، هذه هي أول مرة...في حفلة ساهرة.

لا أعرف ما إذا كانت الموسيقى قد بدأت بالفعل عندما وصلوا إلى القبو الموجود خارج المبنى الرئيسي. ربما تحت المصحة او تحت مكان اخر. . لا أعلم ما إذا كان هو قد بدأ بالفعل بين أولئك الذين كانوا منشغلين حول المعدات الكهربائية لاختيار الاسطوانات.

كان من المؤكد أنه كان أول من دعاها الى الرقص. إنه رقصة روك. كانت مرتبكة واحست بالخجل لأنها ترقص بشكل سيئ (ربما قالت له ذلك من باب الاعتذار). كانت تدور بخطوات كبيرة ، ممسكة بيده بقوة، وصوت صنادلها يُسمع على أرضية القبو الإسمنتية. كانت مشوشة لأنه لم يتوقف عن التحديق بها بتركيز وهو يديرها اثناء الرقص. لم يسبق أن نظر إليها أحد بهذه العيون الثقيلة.أما هو، اسمه "H"، المدرب الرئيسي. إنه رجل طويل، أشقر، مفتول العضلات، مع القليل كرش من البطن. لم تتساءل عما إذا كانت معجبة به، أو إذا كانت تراه جذابًا ووسيما. بدا بالكاد أكبر سنًا من باقي المدربينالاحرين، لكنه بالنسبة لها ليس مجرد فتى، بل رجل ناضجا، ليس بسبب عمره فقط، بل بسبب موقعه الوظيفي. مثلما تعد "L"، المدربة الرئيسية، شخصية قيادية بين النساء، فهو بالنسبة لها ينتمي الى صنف القادة من الرجال في المخيم.في ذات اليوم، جلست بجانبه على نفس الطاولة أثناء الغداء، متوترة جدًا ومضطربة لأنها لم تكن تعرف كيف تأكل الخوخ المقدم لها بطريقة لائقة. لم يخطر ببالها ولو لثانية واحدة أنه قد يكون مهتمًا بها ، كانت مذهولة.أثناء الرقص، كان يتراجع نحو الحائط بينما كان يواصل

التحديق بها. انطفأت الأضواء. جذبها بعنف إلى صدره، وضغط شفتيه على شفتيها. وسط الظلام، سُمعت أصوات احتجاج، وأعاد احدهم إضاءة المكان من جديد. أدركت أنه هو من ضغط على زر الإطفاء. لم تستطع رفع عينيها نحوه، كانت في حالة من الارتباك اللذيذ. لم تصدق ما يحدث لها حقا. همس لها: "هل نخرج؟" فأجابت بنعم، وخرجا معًا.هما لا يستطيعان المداعبة أمام الآخرين. هما الان بالخارج، يسيران بمحاذاة جدران المركز الصحي متعانقين ومتشابكين الاذرع، الطقس بارد، وبالقرب من صالة الطعام ،امام الحديقة المظلمة ، الصقها بقوة على الحائط ، يحتك بها، أحست بقضيبه على بطنها من خلال سرواله الجينز ،انه سريع الانتصاب جدا وجريء جدا. لم تكن مستعدة لهذه السرعة والجراة الكبيرة من الشغف ،ولم تشعر بأي شيء، أنها مفتونة بهذا الشغف من جانبه فهو يشعر برغبته جامحة و قوية اتجاهها، رجل بلا قيود، متوحش، لديه رغبة قوية وغير مكبوحة ، لا علاقة له بالغزل البطيء والحذر اللطيف ، في الربيع كان أبطأ وأكثر حذراً ، لم تسأله إلى اين يذهبان؟ في تلك اللحظة فهمت بأنه يأخذها إلى الغرفة ، ربما هو قال لها. هما الان في غرفتها تحت جنح الظلام ، هي لاترى ما الذي يفعله ، في هذه اللحظة هي تعتقد دائما بأنهما مستمران بالعناق والملامسة وتبادل القبلات من خلال الملابس المطروحة على الفراش.قال لها اخلعي ملابسك ومنذ ان دعاها للرقص ، هي صارت تفعل كل ما يطلبه منها. بين مايحدث لها ومانفعله هي، لايوجد فرق ،تمددت بجانبه عارية تماما على السرير الضيق.

لم يترك لها الوقت لتعتاد على عريه الكامل ، جسده العاري كرجل ، الاحداث تتسارع بشكل يفوق قدرتها على الاستيعاب أو التاقلم ، فهي تجد نفسها فجأة أمام جسد عار بالكامل دون أن تمنح فرصة للتكيف مع الموقف أو الشعور بالراحة ، فهي احست بضخامة وصلابة عضوه الذي يدفعه بقوة بين فخذيها. يجبرها، فتشعر بألم ، تقول انها عذراء، كنوع من الدفاع أو الشرح لايقاف مايحدث ، تصرخ، ينهرها (من الأفضل لك أن تستمتعي بدلا من أن تصرخي) لا يكترث لمشاعرها أو المها ، مترددة بين رغبتها او أن تكون بالخارج في مكان اخر لكنها لا تغادر ،انها تشعر بالبرد، يمكنها أن تنهض وتعيد تشغيل الضوء، وتطلب منه أن يعيد ارتداء ملابسه ويغادر أو هي ترتدي ملابسها لتعود الى الحفلة. كان بامكانها فعا هذا, اعرف جيدا لن الفكرة لم تخطر على بالها,كان العودة الى الوراء لم تكن باتت مستحيلة. على الامور ان تاخذ مجراها, فليس من حقها ان تترك هذا الرجل مع كل هذه الرغبة الجامحةفي امتلاكها. لا يمكنها انه اختارها من بين كل الفتيات الاخريات لتكون له. باقي الاحداث جرت كانما فيلم بورنو حيث لاتعرف شريكة الرجل الخطوة الاتية.. هو السيد..يسبقها دائما هو الموجه..انزلها اسفل بطنه وضع فمها على قضيبه تدفق المني فورا ليلطخها ويصل الى انفها. لم تمر اكثر من خمس دقائق على دخولهما الغرفة.

اعجز عن العثور في ذاكرتي على احساس ما..كانت الفتاة التي على السرير تتابع ما يحدث مالم تتخيل ابدا قبل ساعة انها ستعيش هذه الاحداث. اشعل النور سالها عن الصابونة الخاصة بها على المغسلة اخذها وفرك قضيبه بها ثم فرك عضوها.عادا وجلسا على حافة سرير . اعدت له كوب شوكولاته بالحليب اشترته من البقالة. سخر منها وطلب منها عندما تستلم اجرتها الشهرية تشتري بعض الويسكي."إنه كحول راقٍ لا يبيعه والدَاها، وعلى أي حال، الكحول يُثير اشمئزازها."

شريكتها في السكن ستعود في أي لحظة من النوبة الليلية. يرتديان ملابسهما. تتبعه إلى غرفته."

"يشغلها وحده بصفته المدرب الرئيسي. لقد تخلت تمامًا عن إرادتها، وأصبحت بالكامل خاضعة لإرادته. منغمسة في تجربته كرجل. في أي لحظة لم تكن حاضرة في أفكاره.""حتى اليوم، لا زال تفكيره لغزًا بالنسبة لي.""لا أعرف في أي لحظة هي قبلت..."لا استسلمت ،بل القبول بفقدان عذريتها ، ترغب في فقدان بكارتها ، تتعاون معه، لا اذكر عدد المرات التي حاول فيها الايلاج واختراقها ، وألمرات التي امتصت فيها قضيبه لأنه لم يتمكن من الوصول إليها ، لتعتذر له،هي (اقر بان قضيبه كبير).

هو يكرر بأنه يريدها أن تصل إلى النشوة ، هي لا تتمكن تفشل، هو يعبث بجسدها بقوة كبيرة.ربما يستطيع ذلك إذا كانت تداعب قضيبه بفمها كجنس فموي.هي لاتطلب منه ذلك, فذلك شيء مخجل أن تطلبه فتاة. هي فقط تفعل مايرغب هو فيه،هي لا تخضع له بل لقانون لايمكن المناقشة فيه ،عالمي ،قانون الهمجية الذكورية كان لابد لها تحمله يوما ما . سواء كان قانوناً قاسياً ووسخا ،فهو هكذا قبول الواقع.

هو يقول كلمات لم تسمعها من قبل قط، تجعلها تنتقل من عالم المراهقات الضاحكات تحت غطاء الفحش المهمس إلى عالم عالم الرجال الذي يعني لها دخولها في عالم الجنس النقي الصريحلقد مارست العادة السرية بعد ظهر هذا اليوم.

جميع من في المدرسة سحاقيات كلهن، أليس كذلك؟

يرغب في الحديث، وتحدثا بهدوء، وهما متعانقان أمام النافذة التي يغطي جدارها رسومات ملوّنة رسمها أطفال. هو من إقليم (الجورا)، أستاذ تربية بدنية في مدرسة تقنية في روان، وله خطيبة منذ عامين. يتعارفان. تقول إنها عريضة الوركين. يجيب: "لديكِ وركا امرأة." تسعد هي بذلك. صار الأمر علاقة طبيعية. يبدو أنهما ناما قليلاً. مع بزوغ الفجر وطلوع النهار، عادت إلى غرفتها. ومنذ لحظة مغادرته، اجتاحها شعور بعدم التصديق لما حدث غمرها الشك، وكأن وقع الحدث انقضّ عليها دفعة واحدة. لم تخرج بعد من ذهولها، متأثرة أيضًا بسُكر اللحظة وثمالة الحدث التي تحتاج أن تُقال، أن تُصاغ لتصير واقعية. لحظة تدفعك إلى البوح والحديث. لصديقتها التي كانت قد غسلت نفسها وارتدت ملابسها استعدادًا للنزول إلى الإفطار، تقول: لقد نمتُ مع المدرّب الرئيسي.

لم تعد تعرف إن كانت قد خطرت لها بالفعل فكرة أن هذه كانت "ليلة حب"، ليلتها الأولى.

هذه هي المرة الأولى التي تراها فيها تلك الليلة من ١٦ إلى ١٧ أغسطس ١٩٥٨ وأنا أشعر برضا عميق. يبدو لي أنني لا أستطيع الاقتراب أكثر من الواقع. لم يكن هناك رعب ولا خجل. فقط الطاعة لما يحدث، وانعدام المعنى لما يحدث. لا يمكنني الذهاب أبعد من ذلك في هذه الهجرة الطوعية داخل كياني وأنا بالكاد في الثامنة عشرة من عمري، في جهلي بما سيأتي، في هذا الأحد الذي بدأ.

إنها المرة الأولى التي تراه فيها منذ تلك الليلة، منذ الحادي عشر من آب ١٩٥٨، في وضعية مواجهة مباشرة. يبدو أنني لم أعد أتحمل أكثر. لا أستطيع الاقتراب أكثر. من كان هذا؟ لا شيء فيه يقترب من الواقع. فقط الطاعة، الغياب التام لأي معنى لما حصل. لا يمكنني أن أمضي أبعد في هذه الهجرة الطوعية إلى مكان لا تعرف فيه من تكون، بعد ليلة بالكاد استمرت، في جهل لما ابتدأ صباح الأحد.

إنه وقت الغداء، ضجيج قاعة الطعام، هي جالسة عند طرف طاولة تراقب اثني عشر صبيًا صاخبًا. لا تستطيع ابتلاع الخضار السوداء والمزرقة في صحنها (الباذنجان، لم تأكله قط). يبدو أن صدرها لم ينفك منذ أن دخلت القبو في الليلة السابقة. تراه يظهر بين أعمدة قاعة الطعام، يتفحص، يتحرك بين الطاولات. يتوقف عند الطرف الآخر من طاولتها، يواجهها بين صفين متوازيين من الصبية الصغار، يثبت نظره عليها دون أن ينطق بكلمة. لم تره منذ الليل. ترى نظرته – لقد أعاد نظارته – التي تعلوها، تغطيها، والتي تريد أن تجبرها على تذكر ما فعلته تلك الليلة. تخفض عينيها، لا تستطيع تحمل تلك النظرة النافذة، إنها طفلة مذنبة وسط الأطفال الآخرين. (لاحقًا، سألوم نفسي على عدم مواجهة نظرته المحملة بذاكرة الليلة الليلة السابقة، وبالتواطؤ الذي كان ينتظرالتجاوب معه...).ترى نظرته—لم ترها منذ تلك الليلة. أعادت وضع نظّارتها. يثبت نظره عليها من الطرف الآخر للمائدة، بين صفّين من أعمدة الصبية. يتوقف، يواجهها. كلاهما واقفان، من دون كلمة. هي والصبية الصغار؛ يحدق بها، نظرة لا تستطيع أن تتحملها. إنها نظرة لما كان، لما يريد، لما يفرضه. تُخفض بصرها. (وفي وقت لاحق، في منتصف اليوم، ستشعر أنها مذنبة فقط لأنها لم تستطع أن تردّ نظرته، لأنها غيّرت وجهة نظرها، لتهرب من ذكرى تلك الليلة، ومن تلك الألفة التي انتظرها منها).

لا أستطيع أن أسرد تسلسل الأحداث زمنيًا إلا بالقفز من صورة إلى أخرى، من مشهد إلى آخر، مشاهد لم تتجاوز مدتها الحقيقية بضع دقائق، وربما ثوانٍ، لكنها تمددت بشكل مفرط في الذاكرة، وكأنها تضيف في كل مرة تفاصيل جديدة. وكما في لعبة الجمود[٤٥]"واحد، اثنان، ثلاثة، شمس"، حيث لا يدرك من يواجه الجدار كيف تجمد اللاعبون في أماكنهم عند التفاته، فإن المسافة الزمنية بين صورتين أصبحت منذ زمن بعيد غير مرئية بالنسبة لي.

أراها بعد الظهر، تقرأ الصفحات الأولى من رواية الشرط الإنساني[٤٦] في نسخة من طبعة كتاب الجيب. مع كل جملة تقرؤها، تنسى ما قبلها. بعد مشهد مقتل الرجل النائم تحت الناموسية، يتلاشى الفهم، وتضيع منها خيوط القصة. لم يسبق لها أن عرفت هذا العجز عن القراءة.

أراها مساء الأحد، في غرفتها معه، في تلك الساعة التي يكون فيها الأطفال نائمين، والمدربون متاحين احرارا، باستثناء من يراقبون مهاجع النوم الغارقة في ضوء السهرات الأزرق الخافت لمصابيح الليل. هل هو من دعاها حين التقته بعد الظهر، أم أنها جاءت بمحض إرادتها؟ في كل الأحوال، لا يمكن تصور ألا يقضيا هذه الليلة معًا.

الليلة القادمة تأتي، مثل سابقتها. هو مستلقٍ على السرير، وهي جالسة بجانبه، على الحافة. تلعب بمنديلها المزهر الذي انزلق في فتحة صدر سترتها الزرقاء التي ترتديها على بشرتها مباشرة. إنها تكرر الخطأ الأول. بنفس البراءة التي قدمت له بها كوب حليب بالشوكولاتة، بنفس جهل بالذكور، دون أن تدرك الجرح النرجسي العميق الذي تلحقه بكبريائه، ذلك الجرح الذي صار مع السنين أكثر قسوة في ذاكرتي. تقارنه بمدرب ذي لحية شقراء وبنية جسدية شبيهة بلاعب الركبي، ثم تقول له:

"بعد الملتحي، أنت الأفضل في المخيم."

كانت تظن أنها تمدحه، ولم تشعر إطلاقًا بسخرية ردّه السريع: "أشكرك!"، إذ أضافت قائلًة: "ولكن هذا صحيح!"قالت ذلك ليس بقصد ان تجرحه، بل كحقيقة خارجية عنهما معا، حقيقة لا يمكن أن تعني بأي حال من الأحوال أنها تفضّل الملتحي عليه.

حين رأى تعبيره المتجهم، أدركت هفوتها على الفور وفهمت زلتها، لكنها سرعان ما ألغت أثرها وحجمها. كانت غارقة في رغبتها في قضاء ليلة أخرى مع "ه". كانت متأكدة من ذلك بسبب ما حدث بينهما وما لم يحدث بعد. إنه عشيقها. تنتظر منه إشارة، ربما غياب الاشارة يصيبها بالارتباك.

في المشهد التالي، يغادر الغرفة. تبقى واقفة، تنتظره، معتقدة أنه سيعود. لم يكن هو من دخل الغرفة، بل كان شابا بريتونيًا ذا شعر بني مجعد، كلود ل. أوضح لها أن لا جدوى من بقائها هناك، وأن "ه" لن يعود. يبدو أنها سألته إن كان قد ذهب لرؤية المدربة الشقراء، كاترين ب. لكنه لم يجب. ربما ضحك.

(من هذه اللحظة، لم أعد أخترق أفكار ذهن الفتاة "س"، لم يعد بإمكاني سوى وصف حركاتها، وأفعالها، وتدوين الكلمات، كلمات الآخرين أكثر من كلماتها).

أراها تحت ضوء غرفة "ه" القاسي، مصدومة، غير مصدقة، وربما باكية، تهرب لتختبئ في زاوية بين الحائط والباب المفتوح على مصراعيه، تمامًا كما يختبئ شخص تعرض للصفع. ومن خلف الباب،

تسمع مونيك س. تضحك وتقول للمجعد، الذي كان قد أشار بصمت إلى وجودها، ففهمت ذلك بذهول: "ماذا تفعل هنا؟ هل هي ثملة؟"

تخرج من خلف الباب، تكشف عن نفسها. تقف أمامهما، على بعد متر واحد، حافية القدمين، تتلقى نظرة ازدرائية من أعلى إلى أسفل من مونيك س. التي كانت تتسلى بالموقف. لم أعد أذكر ما الذي توسلت به – كلمات دفنت منذ زمن تحت وطأة الخزي، ربما كانت تسأل إن كان "هـ" مع الشقراء – ولا كيف قوبل توسلها بالرفض المهين الذي ألقته مونيك س. في وجهها ببرود، حين قالت لها باحتقار:

"لسنا صديقتين إذًا؟"

لتجيبها مونيك س. بحدة، بنفور ممزوج بالاشمئزاز:

"آه! لا! لم نرعَ الخنازير معًا!"

أعيد وأكرر في ذهني مشهد الرعب ذاك، الذي لم تخفت بشاعته مع الزمن، ذلك الإذلال المرير، ككلبة جاءت تستجدي لمسة حنان، فلم تتلقَّ سوى ركلة مهينة. لكن هذا الاسترجاع المتكرر للعذاب لم يفلح في اختراق غموض تحامل يعود إلى نصف قرن، إذ بقيت تلك الكراهية الغامضة، غير المبررة، قائمة كما هي في عيني تلك الفتاة تجاهي.

لم يبقَ سوى يقين واحد: آني د.، الطفلة المدللة من والديها، التلميذة النجيبة، قد تحولت في تلك اللحظة تحديدًا إلى موضوع ازدراء وسخرية في نظرات مونيك س. وكلود ل.، وفي عيون كل أولئك الذين كانت تتمنى أن يكونوا أندادها.

لم تعد في غرفة "هـ". في أي لحظة من ذلك المساء، مساء الأحد ذاته، تاهت، ضائعة، متخبطة، هل صادفتهم في طريقها، أم أنها ذهبت إليهم طواعية؟ تلك المجموعة الصغيرة من المدربين، فتيانًا وفتيات، انجذبوا معًا برغبة ليلية في الاحتفال والصخب، ربما حتى برغبة دفينة وغامضة في طقوس الاستهلال التقليدية في بداية المخيم؟ رأيتها في ممر الغرف، تحتج بعجز، وقد أعماها الماء المتساقط على وجهها، شعرها مبلل تمامًا بسيل دلو ماء أُفرغ عليها، في طقسٍ صار لاحقًا جزءًا من طقوس "تاياوت أو تاياوت". انفجرت إحدى الفتيات ضاحكة: "هكذا تبدين مثل جولييت غريكو!" ومن خلال خصلاتها المبللة التي حجبت عنها الرؤية، لمحته، "هـ"، بجسده القوي، واقفًا عند باب غرفته، يراقب المشهد مبتسمًا بتسامح...تظاهر بمسؤوليته كأكبر سنًا أمام حماقات التلاميذ المراهقين. (سيكون من السهل عليّ اليوم أن أفترض أن المجموعة، وقد كانت على علم بكل شيء، خططت — لمجرد المزاح — لأن تقودني إلى غرفة هـ).

إنها ترتكب ثاني حماقاتها في تلك الأمسية. تنفصل عن المجموعة، تصرخ باسمه، تناديه طالبة النجدة وهي تضحك، تردد ما قيل عنها، بأنها تشبه جولييت غريكو. من الطبيعي بالنسبة لها أن تبحث عن ملاذ لديه، بسبب ما حدث في الليلة السابقة، بسبب عريهما.

تندفع لترتمي بين ذراعيه. لكنه يبقي ذراعيه ممدودتين بمحاذاة جسده، ويستمر في الابتسام بصمت، دون أن يقول شيئًا. يدير ظهره لها ويدخل غرفته.

(ربما كان يفكر، بلا شك، أن هذه الفتاة غبية، وأنه لن يرهق نفسه بها، تلك الساذجة التي تتخيل نفسها جولييت غريكو).

في ذلك الأحد الرمادي من تشرين الثاني ٢٠١٤، أنظر إذًا إلى الفتاة التي كنتهاوهي تراه يدير ظهره لها أمام الجميع، الرجل الذي تعرت امامه وضاجعها طوال الليل، نظر إليها، وهي تستلقي لأول مرة، دون أن تدير وجهها. لا يوجد فكر في داخلها ذهنها خال، لقد كانت غائبة تمامًا. لم يكن هناك سوى ذاكرة جسديهما، أو بالأحرى، ذاكرة ذلك الفعل الذي تم بينهما — سواء كان مرغوبًا فيه أو لا، سواء كان مقبولًا أو لا. كانت في حالة تسليم كامل، تائهة، غير قابلة للتركيز تتخبط في قلق الفقدان، مطواعة مثل خرقة. كل شيء فيها كان مستسلمًا، وتركت نفسها تُقاد من قبل تلك المجموعة الصغيرة المثارة المهتاجة، دون أن تشعر بشيء بعد الآن، تمامًا مثل شخص يائس تائهه في غياب المبرر للهجران.

ها هم في المبنى الصغير الجديد إلى يسار الدير، في غرفة واسعة ذات جدران خضراء مائلة إلى الصفرة، ومصباح عارٍ يتدلّى من السقف. لم تكن ترتدي نظارتها. كانوا يؤكدون لها، بإصرار، أنهم في غرفة السكرتيرتين الخاصتين بالمدير، واللتين غادرتا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، لكنها استغربت كيف يتصرفون وكأنهم في منزلهم. بدأوا بتشغيل أسطوانات لروبير لامورو[٤٧] وفرناند راينو[٤٨]، وراحوا يخرجون الكؤوس ويصبّون النبيذ الأبيض. لم تدرك في حينها أنهم يمرحون على حسابها، يدبرون لها مقلباً ستكتشفه في اليوم التالي، حين تعلم أن الغرفة التي كانوا فيها هي غرفة مدربي التربية البدنية والرياضية، "غي أ" و"جاك ر"، الذي كان يعانقها على السرير وكانا جالسين هناك مع مجموعة من الآخرين. تُراهم بدأوا فعلًا – كما ستخبرها "كلودين د" بعد أيام قليلة، وهي المدربة ذات الخد الموسوم بندبة قرمزية على وجنتها – بالسخرية منها بقولهم "لتذهب إلى الجحيم"؟ وكانوا جميعاً على الأرجح قد علموا بما حدث لها في تلك الليلة مع المدرب الرئيسي، وشاهدوا مشهد مهانتها في الردهة والممر؟

كانت تسمع ضحكاتهم، وقصصهم الفاحشة الخليعة، وهي غائبة، بلا إحساس. (والآن، وهي تكتب، تتذكر فجأة المشهد الأخير من فيلم "باربارا لودن"، حيث نرى "واندا"[٤٩] جالسة في ملهى بين سكرانَين، صامتة، تأخذ سيجارة من يد أحدهم، وتدير رأسها نحو اليمين، ثم إلى اليسار. لم تكن هناك

حقاً. قبل ذلك كانت قد قالت: "أنا لا أساوي شيئاً". الكاميرا تثبت على وجهها الجامد، الذي بدأ يتلاشى تدريجياً تم تصوير الجزء اللاحق من Wanda بعد خمسة عشر عامًا، في غرفة في منطقة أورن، في بلدة "س". أطفؤوا المصباح، واستلقوا أزواجًا مثنى مثنى على الأسرة والأرض. كانت الأسطوانات تواصل الدوران على جهاز الفونوغراف. كانت مستلقية على الأرض فوق مرتبة مع جاك ر.، وكانا عاريين من الخصر بينما باقي جسديهما في داخل كيس نوم واحد. لم يتوقف عن تقبيلها، لكنها لم تحب شفتيه الرخوتين. دفع بقضيبه، كانا اضيق من عضو ه، فقالت لا وأكدت أنها مازالت عذراء. بلل ما بين فخذيها.بدا أنها تبكي بينما كانت تسمع في الظلمة الفتيان الآخرين يطلعون بعضهم بعضًا على تفاصيل مغامراتهم مع الفتيات في صيغة مزاح، وكانت داليدا تغني: " Je pars avec la joie au cœur lalalayéyéyéyé / Je pars vers le bonheur" (أرحل بقلبٍ مفعمٍ بالفرح/ أرحل نحو السعادة).

حاول أن الايلاج مجددًا. كان يتخبط بعنف، مدفوعا بعناد رغبته. كانت تخشى أن ينجح ويحقق هدفه. لم تفكر سوى في الابتعاد والهروب. لم يكن ذلك ما يحدث لها خيرًا ولا شرًا، بل شيء ما بين الكرب والعزاء الذي يقدّمه جسد بديل، نفس الرغبة الرجولية في جسد آخر. لم تكن تفعل سوى إعارة جسدها، لكنها كانت مصممة بقوة على حماية مدخله. ربما كانت مدفوعة بالفعل برغبة "العطاء" – الكلمة نفسها تُستخدم فقط مع "ه"، الرجل الذي توسل إليها الليلة الماضية ثم عاد ليرفضها للتو.

أتتبعها بحرص، تلك الفتاة، صورةً تلو صورة، منذ تلك الليلة التي دخلت فيها مع كيس نومها إلى القبو مع رفيقتها، حين دعاها "ه" للرقص، لكن من المستحيل عليّ أن أُمسك بكل الانزلاقات، بتلك المنطقية التي أوصلتها إلى الحالة التي هي عليها الآن.لا يمكنني إلا أن أقول إنها، عندما عادت فجر يوم الإثنين ١٨ آب إلى غرفتها، حيث وجدت رفيقتعا مستعدة لا ستئناف عملها، مرة أخرى، كان كيس نومها منصوبًا سلفًا، اعتبرتْ أن ما جرى في كيس النوم مع "جاك ر." لا يُعدّ شيئًا، أمرًا تافهًا، كأنه لم يكن. (بعد أن فزعت لدى رؤيتها دماً يسيل منها حين خلعت سروالها لتغييره، قبل أن تدرك أنها حاضت قبل موعدها المعتاد بثمانية أيام).

أراها، "آني د."، في ذروت شهوتها، في قمة اندفاعها. لا يمكنها أن تكون في قمة قوتها إلا بإنكار كل ما لا يدخل ضمن رغبتها بـ "ه"، متشبثةً بالأمل رغم كل شيء، مؤمنة بانه سيشتهيها ومُصرة على مواصلة التصديق حتى بعد أن دخل إلى غرفتها، مساء ذلك اليوم بالذات، وأجابها بجفاء واحتقار، رافضًا إياها – حتى بعدما علمت أنه كان مع "كاثرين، المعلمة الشقراء"، المخطوبة لأحد المجندين في الجزائر، والتي تدل على ذلك ختم بحجر أزرق للقوات المسلحة في المغلف الممهور بحروف FM الموضوعة بجانب صحنها – بديلةً لها في عين المدرب الرئيسي. إنها تريد أن يكون رغبته فيها،تنتظر منه اشارة أن يستمتع بها، أن يستنفد لذته معها. لا تنتظر منه شيئًا في المقابل. لا تتخلى عنه، بل

تنتظر فقط أن يشتهيها ذات مساء، بدافع شفقة، أو نزوة، أو ملل لا يهم. حاجتها إليه، وسماحها له بأن يكون سيد جسدها، يجعلها غريبة و صماء عن أي شعور بالكرامة بسبب عينيه الثقيلتين، وفمه الغليظ، وجسده الضخم، ترى أنه يشبه مارلون براندو. لا تهمها تلك الهمسات التي تتناقلها بعض المُدرِّبات بصوت خافت، بأنّه ضخم وغبي. إنها تدعوه في داخلها "أر..ملاك.".

في ساعة من الحرية، تدخل الكاتدرائية في سين، حريصة على ألّا يراها أحد من المدربين، وتُسَرّ برؤية أحدهم أو الآخر يمرّ بمرحٍ مع هذا الشاب القادم من الجنوب، الذي يغني لها بأغنية شعبية Avec le petit doigt وينظر إليها ساخرًا على لحن Ave Maria سلام على مريم العذراء. اللون الأزرق في عينيه يزعجها، كأنّه يُخفي هوسًا بها، غير آبهٍ بجوهرها. إنه لون لعبة إلهية منحرفة، انه فضل الشقراء عليها. اله تتوسل اليه "يا رب، قُل فقط كلمة، فتُشفى نفسي".

أثناء الكتابة، أدركت أنني حتى هذه اللحظة لم أفكر أبدًا أن الشقراء قد تكون أرادت أخذ مكانٍ شغلته وحللت به مصادفة...وأنه، سواء أكانت مخطوبة أم لا، لم يكن بإمكانها أن تترك تلك الفتاة الطويلة المتخبطة، ذات النظارات السميكة، كما أنها ربما حكمت عليّ منذ اليوم الأول عندما أُرسِلنا تباعاً إلى العيادة لإجراء فحص بالأشعة واحدة تلو الاخرى في مصحة المخيم. وربما كانت تلك أيضًا نظرة الآخرين، رغم أنني لم أسمع أحداً ينتقد لعبها المزدوج، بل كانوا يوافقون ضمنياً على اقترانها المؤقت برئيس المدربين، وعلى أن المعلمة الظريفة ذات الجسد المكشوف في ثوب السباحة ستثير لاحقًا صفيراً من الإعجاب من قِبَل الأولاد، في طقسهم المعتاد الذي يشبه عروض "البين–أب"، والإصبع المرفوع تعبيراً عن الانتصاب. لم يكن ينبغي لي أن أفكر خلاف ذلك مثلهم تماما. كنت أجدها أجمل، أكثر لطفًا مني في كل شيء. في عام ٢٠٠٣، لخّصت الأمر بجملة مقتضبة: "هي هي لها وجود، وأنا لست كذلك".

ومع تقدّمي في السرد، اخذت تلك البساطة السابقة في الحكاية، التي كانت ترقد في ذاكرتي، بالتلاشي. الذهاب حتى عام ١٩٥٨، يعني قبول تفتّت كل التأويلات المتراكمة عبر السنين. لا شيء يمكن صقله. لا أبني شخصية خيالية. أنا أفكك الفتاة التي كنتها.

تساؤل خفي بارتياب: هل أنني، دون وعي، أردت طيّ تلك اللحظة من حياتي لاختبار حدود الكتابة، والوصول إلى أقصى تداخل وتشابك بين الواقع والنص (سأنتهي إلى الاعتقاد بأن كتبي السابقة ليست سوى محاولات تقريبية ذلك إلى حد ماالنظر اليها من هذه الزاوية). ربما وأيضًا أن أزجّ بصورة الكاتبة التي تُلصق بي، أن أدمّرها، أن أصرّ على فضح زيفٍ من نوع: "لست تلك التي تظنون"، وهو ما يردّد في تلك اللحظة صدى "لستُ العذراء التي تظنون" الذي ضحك به المدربون بعدي بقليل أثناء مروري.

البقية، مسألة كتابة ما تبقّى، حين لا تريد H أن تكون هي، ولا تريد أن تكون تلك التي كانت في عيني جاك ر.كيف يمكن الدخول الآن في انجراف تلك الفتاة الفاتنة، ذلك الإحساس الذي يعتريها بأنها تعيش اللحظة الأكثر إثارة في حياتها، ما يجعلها غير مبالية بكل السخريات، التهكمات، والملاحظات المهينة والجارحة.بأي أسلوب؟ . تراجيدي، غنائي، روائي، ساخر حتى . لن يكون من السهل أن أحكي ما عاشته في "S" بطمأنينة وغرور (hubris) حُكم عليهما من قبل الآخرين، جميع الآخرين، باعتبارهما جنوناً صافياً وعهرا.هل يجب أن أكتب أن عشر سنوات قبل ذلك، قد مهدت ثورة "ايار ٦٨" الطريق، عبر بعض الجريئات، لامرأةٍ ما–غاندية من نساء ما قبل حركة تحرير المرأة، تلك التي نجدها في كتاب وقال الله للمرأة، والتي لم أكن أملك عندها، بخلاف اليوم وأنا أرى تحت عينيّ تلك الرسالة التي أرسلتها ماري–كلود في أغسطس ٥٨: "أما أنا، فكل شيء يسير على ما يرام في أفضل العوالم الممكنة"؟ نمت ليلة كاملة مع كبير المدربين...

الخاتمة:

نستطيع تلخيص ماتوصلنا اليه عبر هذه الترجمة الادبية المقتضبة لرواية مذكرات فتاة عن البوح الذاتي والحميمية الانثوية من الفرنسية الى العربية دون فقدان البعد الثقافي والجمالي رغم الصعوبة في ايصال المعنى بالدقة المطلوبة فقد وجدنا جرءه ادبية واسلوب بسيط عادت من خلالهما"آني إرنو" بذاكرتها إلى صيف عام ١٩٥٨، إلى أول ليلة قضتها مع رجل، في المخيم الصيفي في منطقة "الأورن". ليلة انتشرت فيها موجة من الصدمة بعنف في جسدها ووجودها على مدار سنتين. بالاعتماد على ذاكرتها، وعلى صور ورسائل مكتوبة لأصدقائها، تستجوب تلك الفتاة التي كانتها، وهي تتنقل بين الماضي والحاضر.اعادت ارنو تقديم الجسد باعتباره مكبوتا من الجسد الاجتماعي وخاصة الجسد الانثوي فهي تطرح الجنسانية الانثوية باعتبارها عكس النظام الاخلاقي للمجتمع. كذلك قدمت العنف الاسري والاجتماعي من خلال سردها لهذه المذكرات.

" رواية بدقة وقوة رائعة، يعيد لنا بأقرب ما يمكن الإحساسات الجسدية ومشاعر مراهقة من تلك الحقبة. تتجاوز ارنو الفروقات والحدود بين الاجناس الادبية من انواع السيرة الذاتية لتخط اسلوب خاص بها تنفرد به يصعب على الناقد تحديده او تقييدها بنمط خاص.

نقل المعنى من لغة الى اخرى بواسطة الترجمة هو نقل ثقافة مجتمع الى مجتمع اخر لتكون الترجمة اداة للتفاعل بين ثقافتين وحلقة اتصال بين حضارتين.واجهنا صعوبة في اخضاع النص الفرنسي وتطويعه للنص العربي بسبب استخدام الكاتبة لمفردات جنسية صريحة قد تكون ممنوعة في ثقافتنا الاسلامية والعربية من منظور الحرمة والحياء. نوصي بفتح افاق ترجمات مستقبلية للسير الذاتية النسائية من الادب الفرنسي خصوصا والادب العالمي عموما.

المصادر

١. آني ارنو ، مذكرات فتاة ، برشلونة – اسبانيا ، طبعة كليمار ٢٠١٦
٢. سوزان باسنيت ، اندريه ليفيفير ، بناء الثقافات ، مقالات في الترجمة الادبية ، ترجمة محمد عناني .مؤسسة الهنداوي ٢٠٢٢ .
٣. ايمان ذبيان قاسم,الهة الترجمة,دار المامون للترجمة والنشر,بغداد,العراق,٢٠١٩ .
٤. هدى علي, تعليم الترجمة,دار المامؤن,بغداد, العراق,٢٠١٣.
٥. اني اوليفيه,السيرة الذاتية,باريس,فرنسا,٢٠٠١
٦. اني ارنو,المكان, باريس,فرنسا,١٩٨٣
٧– ارليت بولون, كيف تكتب سيرة ذاتية,مطبعة ناثان,باريس,فرنسا,
٢٠٠٢
٨– اني ارنو,السنوات,كليمار,باريس,فرنسا,٢٠٠٢
٩–د.سهيل ادريس,المنهل,قاموس ,دار الاداب,بيروت,لبنان,٢٠٠٣

Biographies

1-Annie Ernaux, Girl's Memories, Barcelona, Spanish, 2023
2-SusanBassnett, Andre Lefevere, London, Hindawi organization, 2022
3-Iman thiyban Qasim, the Gods of translation, Dar Al Mamoon publishing, house, Baghdad, Iraq, 2019
4-Huda Ali, teaching the translation, Dar-Mamoon, Baghdad, Iraq, 2013.
–٥Annie Olivier, le biographique, Hatier,Paris,france,2001
6-Annie Ernaux, la place, Gallimard, Paris, France,1983.
7-Arlette Boulogne, comment rédiger, une bibliographie, Nathan, Paris, France,2002.
8- Annie Ernaux, les années, Gallimard, Paris, France,2022.
9-Dr. Souhail Idriss, Al-Manhial, Dictionnaire, liban,2003.

الهوامش:

[١] رواية المكان تقدم حياة ابيها وتوصف الحياة الاجتماعية في مدينة النورماندي الفرنسية منتصف القرن العشرين.وتسرد ايضا جزء من سيرتها الذاتية وطفولتها.

[٢] Une femme, place, les années

[٣] الموضوع الاجتماعي يشكل جانب اساسي في اعمال اني ارنو فعنصر مهم تبيان للمجتمع الذي تعيش فيه كما ذكرت ماري هيلين في كتابها بين الادب والمجتمع طبعة ستوكهولم هولندا ٢٠١٢

[4] Place, une femme ٥

[6] Les années

[٧] بانسيتسوزان وليفير اندريه, بناء الثقافات مقالات في الترجمة الادبية, ترجمة محمد عناني, مؤسسة هنداوي لندن, ٢٠٢٢ ص ٧

[٨] Charly Gaul

بطل سباق فرنسا للدراجات من لوكسمبورغ

[٩] مغنية فرنسية مشهورة ولدت في القاهرة من جذور ايطالية

[١٠] مدينة فرنسية تقع شمال غرب فرنسا تبعد عن باريس ١٧٠ كلم

[١١] Gilbert Becaudمغني معروف فرنسي

[١٢] الفلوز كلمة فرنسية تعني ذم المحاربين الجزائرين خلال حرب الاستقلال

[١٣] مدينة في شمال غرب فرنسا في النورمندي بها نهر اورن يعبرها سميت باسمه

[١٤] اني كوردي مغنية فرنسية مشهورة ينطقون اسمها على وزن جسد يتكلم Corps dit

[١٥] Yvetotبلدة تقع شمال غرب فرنسا بمنطقة النورماندي.

[١٦] امسيات سعيدة مجلة بلجيكية واسعة الانتشار توقفت عن الاصدار ١٩٨٨ ظلت تصدر لمدة ستون عاما.

[١٧] Etoiles de Neiges اغنية فرنسية انتشرت في اربعينيات القرن المنصرم مستوحاة من اغنية المانية

[١٨] جريمة شغلت الشارع الفرنسي في الخمسينيات القرن الماضي كاهن قتل عشيقته وهي حامل ومثل بجثتها

[١٩] بطل دراجات ايطالي توفي ١٩٦٠ فاز ببولة فرنسا اربع مرات.

[٢٠] فنان فرنسي من فناني الجاز

[٢١] كاتب ايطالي توفي ١٩٥٠

[٢٢] كاتبة بريطانية مشهورة توفيت عام ١٩٩٠

[٢٣] مدينة في جنوب فرنسا يزورها المسيحين.

[٢٤] مدينة فرنسية تقع شمال غرب فرنسا في النورماندي

[٢٥] Lisieux احد مدن النورماندي شمال غرب فرنسا مزار مسيحي

[٢٦] Trouville بلدة شاطئية في النورماندي شمال غرب في النورماندي

[٢٧] ملحنة وعازفة فرنسية

[٢٨] مغنية شهيرة من اصول اسبانية

[٢٩] Nous deuxمجتة اسبوعية تصدز منذ اربعينيات القرن الماضي تعني نحن الاثنين

[٣٠] مغنية فرنسية مشهورة

[٣١] Réalitésمجلة فرنسية شهيرة كانت تصدر في خمسينيات القرن الماضي تعني الحقائق

[٣٢] رسام روسي هاجر الى فرنسا توفي ١٩٤٣

[٣٣] مجلة فرنسية صدرت لمدة طويلة

[٣٤] طبيب ياباني نسائي اكتشف فترة الخصوبة والحمل لدى المراة توفي عام ١٩٧٥

[٣٥] رواية اني ارنو ce qu ils dissent ou rien صدرت ١٩٧٧

[٣٦] كاتب فرنسي معروف توفي ١٧١١

[٣٧] شاعر وكاتب فرنسي ينتمي الى المدرسة الرومانسية توفي ١٨٥٧

[٣٨] Jules Laforgue شاعر فرنسي من رواد الرمزية والشعر الحر توفي ١٨٨٧

[٣٩] الرواية للكاتب الفرنسي الان فورنيي قتل في الحرب العالمية الاولى شابا.

[٤٠] فيلم المخرج الفرنسي الان روني حصل على جائزة فنية في مهرجان البندقية.

[٤١] مدينة سياحية غرب فرنسا

[٤٢] تقام كل سنة في فرنسا في شهر ايلول من كل سنة تفتتح فيها المزارات الثقافية مجانا امام الجمهور

[٤٣] بلدة في جنوب شرق باريس

[٤٤] مكان يوضع فيه الاخيار في العالم الاخر في المسيحية

[٤٥] لعبة يغمض احد الاطفال عينيه حين يلتفت على الاطفال الجمود في مكانهم

[٤٦] رواية انريه مالرو الكاتب الفرنسي المشهور

[٤٧] ممثل مسرحي وشاعر فرنسي توفي ٢٠١١

[٤٨] فكاهي فرنسي مشهور في القرت الماضي توفي ١٩٧٣

[٤٩] Barbara Lodenممثلة ومخرجة امريكية توفيت ١٩٨٠, Wandaفيلم اخرجته بربارا عام ١٩٧٠ يحكي قصة انثى انحرفت.